السيرة الحسينية، المصادر والمراجع
دراسة في المستندات التاريخية
[القسم الأول]

الشيخ محمد سردرودي (*)

ترجمة: علي الوردي

مدخل

قد يكون من المناسب في دراسة عاشوراء وقبل كل شيء القيام بجولة سريعة في مصادر ونصوص عاشوراء، لما تشتمل عليه مراجعة النصوص والمصادر من فائدة للباحثين في السيرة الحسينية، إذ من شأنها ـ أي عملية العودة إلى المصادر ـ الكشف عن الآراء المختلفة المطروحة في هذا المجال، من أجل ذلك لابد لنا ـ أولاً ـ من تقسيم المصادر وتصنيفها، فإنّ مصادر عاشوراء يمكن تقسيمها تقسيماً أولياً إلى قسمين: القسم الأول: المصادر المستقلة (التخصّصية)، والقسم الثاني: المصادر غير المستقلة (الشاملة).

وينقسم القسم الأول بدوره إلى قسمين مستقلين: المصادر التي تمّ نشرها، والمصادر التي لم تنشر بعدُ، فيما يختص القسم الثاني، أي المصادر الشاملة، بالمصادر التي تمّ نشرها فحسب.

ويتم الاعتماد في تصنيف هذا النوع من المصادر ـ مصادر القسم الثاني ـ على التصنيف التأريخي؛ وذلك من أجل ترتيب طبقات الرواة والمحدّثين، إضافةً لتحديد

(*) باحث متخصّص في تاريخ الثورة الحسينية.

المرحلة التأريخية التي صنّف فيها كلّ مصدر من المصادر.

ومما يمكن إضافته إلى مصادر عاشوراء والاهتمام بدراسته ومراجعته، تلك الكتب التي تضمّنت أقوال الإمام الحسين عليه السلام وكلماته.

وبالرغم من كون أغلب هذه الكتب قد صدر في ربع القرن الماضي، وأنّ مؤلّفيها من المعاصرين، وبذلك لا يمكن إدراجها ضمن المصادر والمراجع، إلا أن ذلك لم يُقصها ولم يُبعدها عن الانضواء تحت قائمة الكبار؛ لأن أهمية هذه الكتب تكمن في كون السيرة الحسينية مستقاةً ـ في أغلب الأحيان ـ من الروايات والأحاديث المنقولة والمنسوبة للإمام الحسين عليه السلام، وتعتمد عليها بشكل أساس، وهذه الركيزة هي التي تمنح هذا النوع من الكتب، هذا القدر من الأهمية.

١ـ المصادر المستقلة:

١ ـ ١ـ المصادر غير المنشورة

في واقع الأمر لا يمكننا التنبؤ بعدد هذا النوع من المصادر؛ وذلك لعدم امتلاكنا المعلومات الكافية التي تفيد بقاءها أو تلفها، لكن غاية ما يمكننا استعراضه في هذه العُجالة هو فهرسة مجملة لمعظم هذه المصادر. وهذه الفهرسة تكشف عن مدى اهتمام العلماء والباحثين والكتّاب في صدر الإسلام بتدوين تأريخ عاشوراء، كما تدفع هذه الفهرسة بالمهتمّين بالتراث الإسلامي للبحث والتنقيب؛ بغية استخراج هذه المصادر والمخطوطات التي بقيت مخبّئةً لقرون طويلة بين ثنايا رفوف المكتبات العالمية، والعمل على تنقيحها ونشرها.

وفي هذا السياق، وضمن الفهرسة التي ننوي استعراضها هنا، نذكر بشكل تسلسلي: عنوان الكتاب واسم المؤلف وتأريخ وفاته، وذلك من أجل منح الكتاب جزءاً يسيراً من قيمته التأريخية:

١ـ «مقتل الحسين عليه السلام»، للأصبغ بن نباتة المجاشعي الحنظلي، وهو من خاصّة الإمام علي عليه السلام [١]، قيل: إنه توفي في سنة ٦٤ للهجرة، وقيل: بعد المائة.

ولا بد من التنويه هنا إلى أننا لا نريد أن ننسب رواية المقتل إلى الأصبغ بن نباتة، وإنما مرادنا أنّه ألف كتاباً مستقلاً تحت عنوان مقتل الحسين عليه السلام [٢]. غير أن هذا

الكتاب ـ وللأسف الشديد ـ فُقد ولم يبق له أثر، إلا بعض الروايات المتناثرة في مطاوي بعض الكتب المتأخرة، مع ذلك يبقى الأصبغ بن نباتة ـ وكما هو معروف ـ أوّل من كتب مقتل الحسين عليه السلام، وكتابه أسبق المقاتل(٣).

٢ـ «مقتل الحسين عليه السلام»، لأبي مخنف بن يحيى الغامدي (١٥٨هـ)، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام، على ما ذهب إليه الرجالي الشيعي المعروف أبو عبد الله الكشي، وبحسب معظم الرجاليين الشيعة ـ إلا الكشي ـ لم يثبت دركه أمير المؤمنين عليه السلام، بل الظاهر خلافه، وعلى أية حال، فإن «مقتل الحسين» لأبي مخنف هو الآخر قد فُقد، ولم يُعثر على أثر له كما هي حال الكثير من التراث الشيعي.

وبعيداً عن صواب ما اشتهر بين الناس من المقاتل، ونسبتها العامة لأبي مخنف، ليست جميع هذه المقاتل المنسوبة إليه على نسق واحد، بل يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: كتب انتشرت في القرن الأخير بواسطة الجهلاء أو المنتفعين بغية جني الأرباح، ونسبت زوراً إلى أبي مخنف، ولا خلاف بين الأعلام والمحقّقين الشيعة في زيفها، وقد كتب المحدّث النوري بصراحة حول زيف هذه الكتب منذ انتشارها قائلاً: «من المؤسف أنّ أصل المقتل الذي لا إشكال في صحّته مفقودٌ ولا أثر له، والمقتل المتوفر حالياً والمنسوب له يشتمل على جملة من الموضوعات المخالفة لأصول المذهب، أقحمها الأعداء عن علم والأصحاب عن جهل؛ تحقيقاً لغايات فاسدة، ولهذا فهو ساقط عن الاعتبار ولا يمكن الاعتماد عليه، ولا يُطمئن إلى منفرداته»(٤).

المجموعة الثانية: وهي الكتب التي جُمعت من ثنايا المصادر المتأخرة، وخصوصاً ما استخرج من تاريخ الطبري، وطبعت تحت عنوان «مقتل الحسين» و «وقعة الطف»، ونُسب تأليفها لأبي مخنف. ومثل هذه الكتب إن كان له قيمة معرفية فإنما هي لأمرين: الأول المصادر التي جُمعت منها، والثاني مدى الدقة في جمع الروايات وسندها وتحقيقها وتصحيحها.

٣ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» على رواية عمار بن إسحاق الدهني (١٣٣هـ)، وقد أورد الطبري جميعَه أو معظمه في تأريخه، في حديثه عن وقائع سنة ٦١هـ(٥).

٤ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لجابر بن يزيد الجعفي(١٢٨هـ)، وهو من أصحاب الإمام محمد الباقر عليه السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام[٦].

٥ ـ «المراثي» لجعفر بن عفان الطائي (١٥٠هـ)، وهو من أبرز شعراء ومادحي آل عليّ، وقد تشرّف بالدخول على الإمام الصادق عليه السلام فقرّبه وأدناه واستنشد شعره في رثاء الحسين عليه السلام. وقد ذكر ابن النديم أنه من شعراء الشيعة، وشعره مائتا ورقة[٧].

٦ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لهشام بن محمد بن سائب الكلبي (٢٠٦هـ)[٨].

٧ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي المدني البغدادي (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ)، مؤلّف كتاب المغازي[٩].

٨ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي عبيدة، معمّر بن مثنى التميمي (١١٠ ـ ٢١٠هـ)[١٠].

٩ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لنصر بن مزاحم المنقري (٢١٢هـ)[١١].

١٠ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي عبيد، القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)[١٢].

١١ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥هـ)[١٣]، ويعرف الكتاب بعنوان آخر وهو «السيرة في مقتل الحسين عليه السلام»[١٤].

١٢ ـ «مراثي الحسين عليه السلام» لأبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي[١٥] (١٥٠ ـ ٢٣٠هـ)، وقد عثر الشيخ آغا بزرك الطهراني على نسخةٍ من هذا الكتاب في مكتبة دار الكتب المصرية، تمّ تحقيقها على يد محقّق إنجليزي، وقد تمّ طباعة الكتاب ونشره بعد حذف جزء منه[١٦].

١٣ ـ «مقتل الحسين بن علي عليه السلام» لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي المولود في سنة ٢٦٩هـ[١٧].

١٤ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لعبد الله بن أحمد بن أبي الدنيا الأموي (٢٨١هـ)، وهو من علماء أهل السنّة[١٨].

١٥ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي الفضل سلمة بن الخطاب البراوستاني الأزدورقاني، وهو فقيه الشيعة من أعلام القرن الثالث، وينسب إلى «براوستان» إحدى قرى مدينة قم الإيرانية، وقد ذكر الشيخ الطوسي وابن شهر آشوب [١٩] كتابه تحت عنوان «مقتل الحسين عليه السلام»، وأورده أبو العباس النجاشي تحت عنوان «مولد الحسين

بن علي عليه السلام ومقتله»[٢٠].

١٦ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي (٢٨٣هـ) [٢١].

١٧ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي واضح أحمد بن إسحاق اليعقوبي، المؤلّف الشهير، صاحب تاريخ اليعقوبي والبلدان. قيل: إنه توفي سنة ٢٩٢ [٢٢]، وقيل: ٢٨٤[٢٣].

١٨ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري (٢٩٨هـ) [٢٤].

١٩ ـ «مراثي الحسين عليه السلام» لابن حمّاد بن كليب مولى بني عامر. وقد شهد الدولتين: الأموية والعباسية[٢٥].

٢٠ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي [٢٦]، ذكر له أبو العباس النجاشي كتاباً آخر تحت عنوان «كتاب ذكر الحسين عليه السلام»، وقد اعتبره بعض المحقّقين من جملة أصحاب الإمام محمد الباقر عليه السلام، وعدّه بعضهم من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، لكنه ليس صحيحاً، والصواب أن جدّه الأكبر، أي عيسى الجلودي، كان من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، وهذا يمنع كون أبي أحمد من أصحاب الإمام الجواد أيضاً، وإذا كان كذلك فكيف يصحّ أن يكون من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام؟!! ويؤيّد ذلك أن وفاته كانت في النصف الأول من القرن الرابع بعد العام ٣٣٠هـ[٢٧].

٢١ ـ «مقتل الحسين بن علي عليه السلام» لأبي زيد عمارة بن زيد الخيواني الهمداني، من رواة القرن الثالث والرابع. لم يعرف عنه أنه: «كان مرافقاً لعبد الله بن محمد بن محفوظ البلوي الأنصاري» قبل أن يورد المسعودي (٣٤٦هـ) ذلك في مقدّمة كتابه: مروج الذهب [٢٨].

٢٢ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي جعفر محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري القمّي، وهو من فقهاء ومحدّثي القرن الرابع[٢٩].

٢٣ ـ «كتاب ما نزل من القرآن في الحسين بن علي عليه السلام»، لأبي جعفر أيضاً[٣٠].

٢٤ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي جعفر بن يحيى بن العطار القمي. كتب عنه الرجالي الشيعي الكبير ـ النجاشي ـ بأنه: «شيخ أصحابنا في زمانه، ثقةٌ، عينٌ، كثير الحديث»، ثم أورد كتبه مبتدءاً بكتاب «المقتل» الذي نحن بصدده(٣١).

٢٥ ـ «كتاب المقتل» لأبي الحسن محمد بن إبراهيم بن يوسف الكاتب المعروف بأبي الحسن الشافعي، ولد سنة ٢٨١هـ(٣٢).

٢٦ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (٢١٤ ـ ٣١٧هـ) والمعروف بالحافظ البغوي وابن بنت منيع(٣٣).

٢٧ ـ «مقتل الحسين بن علي عليه السلام» لأبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني (٢٥٩ ـ ٣٣٩هـ)(٣٤).

٢٨ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي سعيد الحسين بن عثمان بن زياد التستري، ويعتبر ـ تاريخياً ـ متقدّماً على الشيخ الصدوق أو معاصراً له، ونقل عنه الشيخ الصدوق في المجلس الثلاثين من أماليه، والذي خصّه للحديث عن مقتل الحسين عليه السلام(٣٥).

٢٩ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، وهو غير الكتاب المتداول حالياً والمعروف (بمقتل الحسين للحافظ الطبراني)، وإنما هو كتابٌ مفقود لم يسلم من الاندثار(٣٦)، وسنتعرّض له ـ للكتاب المفقود ـ بصورة وافية عند الحديث عن الكتب التي تمّ نشرها.

٣٠ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)(٣٧)، وبالرغم من أنه قد أورد من هذا الكتاب نصوصاً في كتبه واستشهد بها (٣٨)، إلا أن أصل الكتاب قد فُقِد ولم يصلنا، وقد جُمع (مقتل) الشيخ الصدوق وتمّ طبعه ونشره حديثاً، وسنتحدّث عنه أكثر في القسم اللاحق من هذه الدراسة.

٣١ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لمحمد بن علي بن فضل بن تمام بن سكين، وهو من ثقاة الشيعة ومحدّثيهم في القرن الرابع الهجري، وبحسب النجاشي فهو: «ثقة عين صحيح الاعتقاد وجيّد التصنيف»(٣٩)، وهو من طبقة الشيخ الصدوق، وكان شديداً ودقيقاً في رواية «الشيخ»، أي «ابن الغضائري»(٤٠).

٣٢ ـ «كتاب المراثي» لمحمد بن عمران المرزباني الخراساني (٣٨٥هـ)، وقد أشار المرزباني إلى كتابه المذكور في كتابه الآخر المعروف «بالموشح»، المطبوع في دار النهضة بمصر في الصفحة الخامسة.

٣٣ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» للسيد نجم الدين محمد بن أميركا بن أبي الفضل الجعفري القوسيني[٤١].

٣٤ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأحمد بن عبد الله بن محمد البكري، المعروف بأبي الحسن البكري، وهو من علماء القرن الخامس، قيل: إن نسخةً من هذا الكتاب تمّ العثور عليها ضمن مجموعة من الكتب في مكتبة جامعة القرويين التابعة لمحافظة فاس بالمغرب العربي، وكان عنوان النسخة «حديث وفاة سيدنا الحسين»[٤٢].

٣٥ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لمحمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) المعروف بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، وعلى الرغم من إطلاق الشيخ عنوان «مقتل الحسين» على كتابه[٤٣]، إلا أن ابن شهر آشوب أسماه «مختصر في مقتل الحسين عليه السلام»[٤٤].

٣٦ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لمحمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (٥٨٨هـ)[٤٥].

٣٧ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لأبي القاسم محمود بن مبارك الواسطي (٥١٧ ـ ٥٩٢هـ)، وهو المعروف بالمجير ومجير الدين[٤٦].

٣٨ ـ «مقتل الشهيد الحسين عليه السلام» لعز الدين أبي محمد عبد الرزاق الجزري الرسعني (٦٦١هـ)، عرف كتابه لدى بعضهم بـ «مصرع الحسين»[٤٧].

٣٩ ـ «الدر النضيد في تعازي الإمام الشهيد» للسيد بهاء الدين علي بن غياث الدين عبد الكريم بن عبد الحميد الحسيني النيلي النجفي النسّابة، وهو من مشاهير علماء القرن الثامن، كما يعدّ من أبرز تلامذة فخر المحقّقين الحلي، وقد ألّف كتابه هذا في مقتل الحسين عليه السلام ومراثيه، ويشكل الكتاب مصدراً من المصادر التي اعتمدها ورجع إليها المجلسي في أغلب روايته للمقتل الحسيني[٤٨].

٤٠ ـ «مرثية الحسين عليه السلام» لجمال الدين الحسن بن المطهر الحلي، المعروف

بالعلامة (٧٢٦هـ)، وقد عثر المحقق الشيعي الكبير آغا بزرك الطهراني على نسخةٍ من هذا الكتاب ضمن مجموعة من كتب تعود للميرزا محمد الطهراني في مدينة سامراء[٤٩].

٤١ ـ «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لمحمد بن محمد بن مساعد بن العياش العاملي المعاصر للشهيد الثاني[٥٠].

٤٢ ـ «مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في كربلاء» لمحمود بن عثمان بن علي الحنفي الرومي البروسوي المعروف باللامعي (٨٧٨ ـ ٩٣٨هـ).

٤٣ ـ «هطل العين في مصرع الحسين» لشمس الدين محمد بن طولون (٩٥٣هـ)، وقد أشار نفسه إلى كتابه هذا في أحد مؤلفاته الأخرى وأرجع إليه[٥١]، وكتب ابن طولون كتاباً آخر تحت عنوان «قيد الشريد من أخبار يزيد»، ولحسن الحظ فقد سلم هذا الكتاب من الاندثار، وتمّ نشره مؤخراً ضمن سلسلة فصول كتاب تأريخ الإمام الحسين الكبير.

هذا، وهناك كتب أخرى ذكرها الآغا بزرك الطهراني تحت عنوان المزار، وهي:

٤٤ ـ «مزار أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لعبيد الله بن أبي زيد أحمد بن يعقوب بن نصر الأنباري (٣٥٦هـ).

٤٥ ـ «مزار أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي عبد الله محمد بن عباس بن عيسى الغاضري.

٤٦ ـ «مزار أبي عبد الله الحسين عليه السلام» لأبي المفضل محمد بن عبد الله بن محمد الشيباني الكوفي المعاصر لأبي العباس النجاشي[٥٢].

١ ـ ٢ ـ المصادر المنشورة

قليلٌ هي المصادر التي تمّ نشرها، ونصفها استُقي من المصادر غير المستقلّة، ومن كتب السيرة الشاملة، وقد جُمعت وطبعت ثم تمّ نشرها، ونوردها هنا بحسب التسلسل التاريخي:

١ ـ «تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام» للفضيل بن الزبير بن عمر بن درهم

الكوفي الأسدي (١٢٢ ـ ١٤٨هـ)، من أصحاب الإمامين: الباقر والصادق، وقد حقّق الكتاب السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، في مدينة قم، في مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ونشر ضمن مجلّة تراثنا، السنة الأولى، العدد الثاني، الصفحات: ١٢٣ ـ ١٦٠، خريف عام ١٤٠٦هـ.

وحول الطريق إلى توثيق الفضيل بن الزبير نقول: بما أن معظم رواة كتابَي «كامل الزيارات» و«تفسير القمي» هم من الثقات، وبما أن الفضيل من ضمنهم وهو أحد الرواة المنقول عنهم في هذين الكتابين، فيصحّ القول بأن الفضيل (ثقة)، وبما أنه ثقة فإنّ كتابه الموسوم (تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام) يكتسب الوثاقة، وبذلك يكون من الكتب المعتبرة سنداً.

٢ ـ «ترجمة الإمام الحسين ومقتله» من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة آل البيت، محرم ١٤١٥هـ، ١٢١ صفحة: حجم وزيري.

ويعدّ محمد بن سعد بن منيع البصير (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ) من علماء أهل السنّة، ويُعرف «بابن سعد» و «كاتب الواقدي»، وكتابه «الطبقات الكبير» من الكتب المشهورة والبارزة.

وفيما يتعلّق بوثاقة الكتاب ومدى اعتباره، فإن التعليقة التي أوردها المحقق الدقيق والعالم العارف، أي المرحوم الطباطبائي، التي شملت معظم أجزاء الكتاب من شأنها أن ترفع أي إبهام أو تحريف يمكن توجيهه للكتاب.

٣ ـ «الحسين والسنّة» من اختيار وتنظيم السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي، مكتبة مدرسة جهل ستون، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ش/١٩٧٧م، ١٤٨ صفحة، حجم وزيري.

وقد تمّ استخراج هذا الكتاب وجمعه من أصل ثلاثة مصادر لدى أهل السنّة وهي عبارة عن: «كتاب الفضائل» لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) وهو أحد أئمة المذاهب الأربعة لدى أهل السنّة ويُعرف بالإمام أحمد بن حنبل. و«أنساب الأشراف» لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ). و«المعجم الكبير» لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (٣٦٠هـ)،

والمشهور بالحافظ الطبراني.

وأهم ما يميّز هذه المجموعة الثلاثية، هو أخبارها ورواياتها التي رواها رواة ومحدّثو القرن الأول. والميزة الأخرى هي أنها حقّقت وصححت من قبل المحقق الشيعي المعاصر الكبير الأستاذ السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٤ ـ «استشهاد الحسين» لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ٢٢٢ صفحة، حجم وزيري. وقد استخرج هذا الكتاب من تاريخ الطبري، وتمّ نشره بعد أن ضمّت إليه رسالة (رأس الحسين) التي كتبها ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ).

٥ ـ «ثورة الإمام الحسين» المأخوذ عن كتاب الفتوح، لابن الأعثم الكندي (٣١٤هـ)، ترجمه محمد بن أحمد المستوفى الهروي للفارسية في سنة ٥٩٦هـ، وصحّحه غلام رضا الطباطبائي مجد، الطبعة الأولى، طهران، المؤسسة العلمية والثقافية للنشر (شركت انتشارات علمي وفرهنكي)، ١٣٧٣ش/١٩٩٤م، ١٠٩ صفحات، حجم وزيري.

وقد رتب المؤلّف فصول الكتاب الإحدى عشر من بداية الفاجعة، أي بدءاً بطلب يزيد البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، وإنتهاءً بالوقائع التي أعقبت الاستشهاد. وبما أن الكاتب كان يتمتع ببعض الميول الشيعية فإنّه لم يقتصر في سرد روايات الكتاب على الروايات السنّية، بل أورد بعض الروايات الشيعية أيضاً، وهذا قد أكسب كتابه قيمةً أكبر مما عليه كتب المقاتل الأخرى، كالتي لابن سعد وابن عساكر والآخرين.

٦ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شجاع ضيف الله، دار الأوراد الكويتية، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤١٢هـ، ١٤٩ صفحة، حجم وزيري.

وهذا الكتاب يختلف عن كتاب المقتل المستقلّ الذي لم يُعثر على أصله لحدّ الآن، وقد تطرقنا له بالتفصيل في حديثنا المتقدّم عن المصادر التي لم تُنشر، وقد استخرج هذا المقتل ـ الذي نحن بصدده ـ المحققُ الطباطبائي من المجلد الثالث من كتاب المعجم الكبير للطبراني، ونشره ضمن كتاب «الحسين والسنّة»، ثمّ أعاد

نشره محمد شجاع ضيف الله بصورةٍ مستقلّة.

٧ ـ «شرح الأخبار الجزء الثالث عشر في من قُتل مع الحسين من أهل بيته» للقاضي النعمان بن محمد بن منصور، صاحب الدعائم (٣٦٥هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٤هـ، ١٤٧ صفحة، حجم وزيري. وهذا الكتاب هو الجزء الثالث عشر من الأجزاء الستة عشر لكتاب «شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار» الذي ألّفه القاضي النعمان تقيةً عندما عيّن قاضياً من قبل الإسماعيلية.

٨ ـ «كامل الزيارات» لأبي القاسم جعفر بن محمد القمّي، المعروف بابن قولويه (٣٦٧هـ)، تصحيح العلامة عبد الحسين الأميني، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، مطبعة المرتضوية، ١٣٥٦هـ، ٣٣٧ صفحة، حجم رقعي. ولا خلاف بينهم في أن ابن قولويه وهو الشيخ الأقدم والفقيه الشيعي المقدّم أحد أجلاء الأصحاب ومن ثقاتهم. وكتابه هذا من أهم كتب الطائفة وأصولها المعتمد عليها في الحديث، وعبّر عنه تارة بـ «جامع الزيارات» وأخرى بـ «الزيارات». وعدّه كثيرٌ من علماء الطائفة بأنه من الكتب المعتمدة وحكموا بوثاقة جميع الرواة الذين وقعوا في إسناده(٥٣).

إن الجزء الأعظم من هذا الكتاب الثمين ـ أي أكثر من ثمانين باباً ـ اختصّ بالإمام الحسين وبوقعة عاشوراء، وجاء على نحو نصوص روائية مسندة وزيارات معتبرة، وبذلك يكون حاجةً ماسّة لكل من يعمل على تدوين السيرة الحسينية والتحقيق فيها.

٩ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» برواية الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تأليف وتحقيق وترجمة: محمد صحتي سردرودي، طهران، الطبعة الأولى، مؤسسة هستي نما للنشر، شتاء ١٣٨١ش/٢٠٠٢م، عدد الصفحات ٣٦٧، حجم رقعي.

ويشتمل هذا المقتل على أكثر من مائتي حديث ورواية رويت جميعها عن طريق «رئيس المحدّثين» الشيخ الصدوق، وقد جمع معظمها من تصانيف الشيخ التي تمّ نشرها، والقسم المتبقي جُمع من مؤلّفات من روى عن الصدوق. ويقول المحقق حول الكتاب: إنني قد صرفت عاماً كاملاً في تحقيقه وتصحيحه وترجمته وتأليفه، والله وحده يعلم ما عانيته بغية إخراج الكتاب ونشره.

وعلى كل حال، فلهذا المقتل خصائص وميزات تفرده عن سائر المقاتل، وقد أشير إلى بعضها في المقدمة التي أوردت له، فيما فصّلها المؤلّف في مقال مستقل لا يسع المجال لسرده هنا(٥٤).

١٠ ـ «فضل زيارة الحسين عليه السلام» لمحمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري (٣٦٧ ـ ٤٤٥هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، عدد الصفحات: ١٢٢، قطع وزيري. يشتمل هذا الكتاب على تسعين رواية في فضل زيارة الحسين وآثار تربته وثواب البكاء عليه، نقل أكثرها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام.

١١ ـ «مقتل الحسين عليه السلام» لضياء الدين أبو المؤيد، موفق بن أحمد بن محمد المكي الحنفي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ) والمشهور «بأخطب خوارزم» و«الخطيب الخوارزمي»، إشراف وتحقيق محمد السماوي، النجف الأشرف، مطبعة الزهراء، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ، في مجلّدين.

ويعدّ الخوارزمي في أصوله أشعرياً وفي فروعه حنفياً، لكن ذلك لم يمنعه من إظهار المودّة لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يتجلّى ذلك بوضوح في كتابيه: «المناقب» و «المقتل»، لكنه أورد في مطاوي مقتله هذا العديد من الروايات التي تتعارض بل تتنافى كلّياً مع مذهب أهل البيت عليهم السلام، مثل الرواية التي أوردها في الفصل الخامس (ج١: ٨٦) والتي تفيد أن أبا بكر قد صلّى على الزهراء بعد وفاتها، كما أنه حضر تشييعها ومواراتها مع عمر وعلي وآخرين، أو الرواية التي أوردها في الفصل الحادي عشر (ج٢: ٣)، ضمّنها روايات أخرى موضوعة تحكي فضل يوم عاشوراء وآثار الصيام فيه، ويستمرّ في حديثه الموضوع هذا في (ج٢: ٤) معتبراً يوم عاشوراء عيداً مباركاً، بل يعادل سبعين عيداً، ويسوق رواية يسندها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تأييداً لرأيه المزعوم. والأعجب من ذلك أنه اعتبر ولادة كلّ من السيدة الزهراء والحسن والحسين قد صادفت ـ أيضاً ـ في يوم عاشوراء!

١٢ ـ «ترجمة ريحانة رسول الله الإمام الشهيد الحسين عليه السلام من تأريخ مدينة دمشق» لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي الدمشقي، المعروف بابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ)، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، الطبعة الأولى،

١٣٩٨هـ، في ٣٣٧ صفحة، من الحجم الرحلي.

لقد خصّص مؤلف تأريخ دمشق ما يقارب مجلداً كاملاً من تأريخه للإمام الحسين عليه السلام وليوم عاشوراء؛ فنقل في هذا السياق ٤٠١ رواية، وإذا حذفنا المكررات والتي تتجاوز المائة والخمسين، يصبح لدينا ٢٥٠ رواية، ثلاثون منها تتعلّق بسنة ولادته وأيام حياته ويوم شهادته، بينما عشرون رواية تتعلّق بإخبار النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام عن مقتله، وما يقارب الخمسين رواية تحكي عجائب وغرائب ما وقع بعد مقتل الإمام الحسين، وأكثر من تسعين رواية اختصّت بذكر مناقبه وفضائله، وهي روايات رائعة تستحق الوقوف عندها. وعشرة روايات فقط هي التي تطرّقت لما حدث يوم عاشوراء، وتناولت كيفية الشهادة، والعنف والهمجية الذين ارتكبهما جيش عمر بن سعد.

والحاصل: إن ابن عساكر من خلال تصنيفه للروايات والترتيب الذي اتبعه في سرد الأحداث المتعلّقة بالإمام الحسين في تأريخه لمدينة دمشق، قد قام بثلاثة تحريفات يمكن اعتبارها من أعظم ما تمّ تحريفه في هذا المجال، وهي:

أولاً: اكتفى بإيراد عشرة روايات موجزة من بين الكثير من الأخبار التي تحكي بالتفصيل وحشية وهمجية ما ارتكبه جيش يزيد يوم عاشوراء، وذلك حرصاً منه على أن لا تقوم الأجيال القادمة بوضع يزيد وأعوانه تحت مقصلة التأريخ بعد محاكمتهم على ما قاموا به من جرائم وفظائع تقشعرّ لها الجلود وتتصدّع بها الجلمود؛ لأنّ في ذلك إهانةً مباشرة ليزيد، وغير مباشرة للخلفاء من قبله، وهذا ما لا يرتضيه ابن عساكر بأيّ وجه من الوجوه، ولذلك فقد اختار الطريق الأسلم، وهو أن يمرّ على كل هذه الأطلال والأشلاء بعشرة روايات تكاد لا تحكي شيء.

ثانياً: في مقابل الروايات العشرة، روى ابن عساكر عشرين رواية، أي ضعف العدد، تنصبّ جميعها على إخبار النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام بمقتل الحسين.. يا ترى ما الذي يبتغي من وراء ذلك؟ لقد كان يبتغي ترسيخ فكرة حتمية مقتل الحسين في أذهان قرّاء تأريخه، وذلك تسليماً لقضاء الله وقدره، فإن الله قد قدر للحسين وشاء أن يراه قتيلاً، وهذا ما أكّده رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام في كثير من المواقف من خلال ما أخبرا به عن مقتله، فالتقصير لا يقع على عاتق يزيد وأبيه ولا على عاتق

من سلّطهم على رقاب المسلمين، وإنما ذلك قضاءٌ من الله وقدر.

لقد كان من السهل على ابن عساكر تمرير مثل هذا التحريف وتكريسه لدى الرأي العام السنّي، خصوصاً وأنّ هذا الأخير يحمل معظم شرائحه عقيدة الجبر التي تفيد أن الإنسان مجبورٌ على أفعاله وليس مختاراً فيها، ويزيد لا يخرج عن كونه إنساناً؛ فهو ـ من ثمّ ـ مجبور على أفعاله لا مختاراً، وهذا خير دليل على براءته من الجرم العظيم الذي اقترفه في قتل الحسين عليه السلام الذي كان مقتله ضرورةً وحتمية وقدراً لابد له من الوقوع.

ثالثاً: لقد أراد ابن عساكر من خلال إيراده خمسين رواية تتطرّق لعجائب وغرائب ما وقع بعد مقتل الحسين، أن يعطي صورةً ساذجة عن الشيعة وكونهم طائفة بُنيت أيديولوجياً على الخرافات، وبهذا الأسلوب المخادع، المقدّس في ظاهره، أراد أن يستهزئ بوقعة الطفّ وما جرى فيها.

وفي هذا السياق نذكر ـ بصورة إجمالية ـ المفاهيم العامّة للروايات التي ساقها ابن عساكر، وهي: ١ ـ بكت السماء حزناً على الحسين. ٢ ـ تغير الآفاق وسقوط التراب الأحمر. ٣ ـ ظهور الكواكب نهاراً. ٤ ـ لم يرفع حجر في ذلك اليوم إلا وظهر تحته دمٌ عبيط. ٥ ـ مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقة. ٦ ـ بقيت الشمس زماناً تطلع محمرّة على الحيطان والجدر بالغداة والعشي. ٧ ـ حدوث الحمرة في السماء كأنها الدم. ٨ ـ أصبحت الكواكب يضرب بعضها بعضاً. ٩ ـ إصابة من بشّر بمقتل الحسين بالعمى. ١٠ ـ أمطرت السماء دماً عبيطاً. ١١ ـ كانت حيطان دار الإمارة تسيل دماً. ١٢ ـ أصبحت حيطان بيت المقدس ملطّخة بالدماء. ١٣ ـ صيرورة الورس الذي نهبوه من معسكر الحسين رماداً، وما طبخوه من لحوم نياقِه ناراً وعدم تمكّنهم من أكلها.

ولم يتحدّث ابن عساكر بشيء عن فلسفة الثورة الحسينية والأهداف المقدّسة والعظيمة التي كان الإمام الحسين عليه السلام ينشدها و.. لكنه في الوقت ذاته أسرف في إيراد الغرائب والعجائب من الروايات التي يمتاز معظمها ببُعده عن الواقع وقربه من المستحيل..

لقد كان ابن عساكر في عقيدته أشعرياً، لكنه تطرّف في الذود عن

الأشاعرة والجبرية والتعصّب لهم، ويؤكّد ذلك تأليفه لكتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري». وفيما يتصل بالأجواء التي عاشها ابن عساكر والتي ربما يكون لها الأثر البالغ على تكوين شخصيته، فقد ولد في دمشق من أمٍّ أموية، وبقي في دمشق ومات فيها أيضاً. وقد احتضنته السلطة الحاكمة المناهضة للشيعة والتشيع، ووفرت له كافّة المستلزمات، وفي ظلّها تمكّن من تأليف تأريخ دمشق(٥٥).

ومع مثل هذه الظروف التي عاشها ابن عساكر، ليس لنا أن نستغرب ما حمله من تصوّر مغلوط تجاه عاشوراء؛ لأن الإنسان ـ وبعد كل شيء ـ هو ابن بيئته ويخضع للظروف المحيطة به ولا يخرج عنها إلا نادراً.

١٣ ـ «مثير الأحزان» لنجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي المعروف بابن نما (٥٦٧ ـ ٦٤٥هـ)، قم، مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، في ١٢٥ صفحة، حجم وزيري. وقد طبع منضماً مع كتاب التحصين لابن فهد الحلي، كما طبع في أغلب الأحيان مع الكتاب الآخر لابن نما «قرة العين في أخذ ثأر الحسين»، لكنه فُصل مؤخراً وطبع مستقلاً، في حين اتخذ كتاب قرّة العين عنواناً آخر وهو «ذوب النضار في شرح الثار».

وقد وقع الاختلاف في نسبة كتابي: «مثير الأحزان» و «ذوب النضار» لابن نما الحلي، هل هما لحفيد نجم الدين الحلي أم له شخصياً؟ والصحيح ـ على ما يبدو ـ أنّهما لنجم الدين الحلي ذاته لا لحفيده.

كما اختلف أيضاً في سنة وفاة المؤلّف، وما أوردناه سلفاً إنما نقلناه عن كتاب «مثير الأحزان» وعن مقدمة المصحّح لكتاب «الملهوف على قتلى الطفوف»، وهي تُظهر أن ابن نما كان متقدّماً على السيد ابن طاووس، وكتابه مثير الأحزان كُتب قبل كتاب اللهوف لابن طاووس. لكن ذلك كلّه لا يخرج عن دائرة الاحتمال، فيما يظلّ المجال للتنقيح والتفحص مفتوحاً، ولا يسعنا في هذه العجالة أن نفصّل ونخوض في البحث أكثر، لكن بالإجمال نقول: أغلب الظن أنّ وفاة مؤلّف مثير الأحزان كانت حوالي سنة ٦٨٠هـ.

١٤ ـ «درر السمط في خبر السبط» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي

بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار (٥٩٨ ـ ٦٥٨هـ)، تحقيق عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، في ١٤٩ صفحة، حجم رقعي.

ولابن الأبّار الأندلسي كتابٌ آخر تحت عنوان «معادن اللجين في مراثي الحسين» لكنه مفقود حالياً.

وابن الأبار هذا كان معاصراً لاسفناك الأندلسي، وقد شهد مصرع العديد من أساتذته الذين بذلوا مهجهم دفاعاً عن الدولة الإسلامية، وقد عاش حياةً بالغة الصعوبة مملوءةً بالحزن والألم، فقد شهدت الفترة التي عاشها ضعف الأندلس داخلياً وعدم قدرة أهله على الصمود في وجه الزحف النصراني القشتالي البرتغالي الأرغوني، وبذلك أصبح ابن الأبّار شاهداً على تهاوي معاقل الأندلس وحصونه، ثم مدنه وعواصم أقاليمه..

وفي مثل هذه الأجواء كتب ابن الأبار كتابيه مستخدماً أدب الرثاء والبكاء، ليسلّي بهما فؤاده الحزين ويملئ بهما روحه الكئيبة، فخرج الكتابان من صميم قلبه وما خرج من القلب وقع في القلب. وقد تميّز كتابه درر السمط في خبر السبط بشعر ونثر وبأسلوب غاية في الروعة والجمال.

ومع حرص مصحّح الكتاب، أي عز الدين عمر موسى، ومساعيه الحثيثة على إثبات تسنّن إبن الأبار وعدم تشيعه، إلا أن درر السمط بقي شاهداً بكافة سطوره سطراً سطراً على تشيّعه، ووهن ما ذهب إليه عمر موسى.

وحول آرائه في درر السمط، يعتقد ابن الأبار بأن تأريخ صدر الإسلام من حياة الرسول إلى مقتل الحسين ليس إلا صراعاً بين الهاشميين والأمويين(٥٦). وفي مكانٍ آخر يصف بصراحة بني أمية بأبناء الطلقاء، وقد تولّوا الأمر دون استحقاق، ولم يكن إسلامهم إلا عن خوف ورهبة من حدّة السيف، وقد كان بنو أمية يستحقون الموت لكنّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم (جدّ الحسين عليه السلام) تجاوز وعفا عنهم، وقال لهم: أنتم الطلقاء(٥٧). فكيف يا ترى تنتهي الخلافة لمثل هؤلاء؟!

يجيب ابن الأبار على هذا التساؤل بكل وضوح: ليسوا جديرين بالخلافة والإمامة بأيّ وجهٍ من الوجوه؛ فالإمامة لم تكن للئيم من سبط هند وابنها دون البتول ولا كرامة. ويصفهم في محلّ آخر بالفراعنة، وما موقف الحسين من يزيد إلا مواجهةً

بين موسى وفرعون [٥٨].

ويضيف ابن الأبار بعد سياقه للمقاطع التالية: «كانت بنو حرب فراعنة، فذهب ابن بنت الرسول ليخرجهم من العراق» [٥٩].

وهذه المقاطع التي أوردها في درر السمط، جزءٌ يسير من البدائع النثرية التي كتبت بمهارة عالية وذوق رفيع، فظهر درر السمط كتاباً قليل اللفظ كثير المعنى، يحتوي على درر ثمينة تستدعي التأمل والتفسير أملاً في حيازتها.

١٥ ـ «ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من كتاب بغية الطلب في تأريخ حلب» لكمال الدين عمر أحمد بن أبي جرادة الحلبي المعروف بابن عديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ)، تصحيح السيد عزيز الطباطبائي، تحقيق السيد محمد الطباطبائي، قم، مؤسسة دليل ما للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٥٤ صفحة، حجم وزيري.

وهذا الكتاب ـ كما هو واضح ـ مأخوذ عن المصنّف الكبير لابن عديم، أي بغية الطلب في تأريخ حلب، وجمع وصحّح وصدر بشكل مستقل، مشتملاً على ٢٤٨ خبراً في عاشوراء والإمام الحسين، وباب المقتل في هذا الكتاب أكبر وأوسع ممّا هو عليه في كتاب الأخبار الطوال. وقد صحّحه العالم الشيعي الكبير المرحوم المحقق الطباطبائي من النسخة الأصلية التي كتبها المؤلّف بيده، والتي عثر عليها في مكتبة سلطان أحمد الثالث في تركيا.

١٦ ـ «الملهوف على قتلى الطفوف» لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر، المعروف بالسيد ابن طاووس (٥٨٩ ـ ٦٦٤هـ)، تحقيق فارس حسون تبريزيان، قم، دار الأسوة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ٢٦٤ صفحة، قطع وزيري.

ويعتبر السيد ابن طاووس من أساطين المعرفة ومن أبرز العلماء الربّانيين الشيعة، ومصنّفاته القيّمة تشغل حيزاً مهماً في المكتبة الإسلامية، وتعدّ مرجعاً هاماً ومعتمداً للمحققين والباحثين والعلماء. وكتابه الموسوم بالملهوف على قتلى الطفوف من أبرز مصنّفاته، ويعدّ من الكتب القيمة والهامة، ويسمى غالباً «باللهوف على قتلى الطفوف». ولم يحظ كتاب آخر مثل ما حظي به هذا الأخير من إقبال المحققين والباحثين في مجال عاشوراء؛ فتُرجم للفارسية بأكثر من عشر ترجمات، وتتصدى لطباعته سنوياً عشرات من دور النشر؛ فهو بحقّ أروع كتاب تمّ تأليفه في هذا الحقل.

ولقد عثرتُ على أدلة وقرائن، تمكنني من القول: بأن السيد ابن طاووس إنما كتب كتابه اللهوف هذا ردّاً على كلام الشريف المرتضى الذي أورده في تنزيه الأنبياء وفي التلخيص أيضاً؛ فهذا ما يمكن ملاحظته في مطاوي كتاب اللهوف وكذلك من خلال آلية ترتيبه وتبويبه، وبصورة أجلى في مقدّمته التي تحدّث فيها عن الشريف المرتضى بعد أن اقترض من أبيات الأخير بيتين لغاية مزدوجة كان يبتغيها السيد ابن طاووس، وهي تقريظ ديباجة الكتاب وفي الوقت ذاته التعريض بكلام الشريف المرتضى؛ وذلك لأن مفهوم البيتين اللذين اختارهما ابن طاووس كان مناقضاً بشكل واضح لكلام الشريف المرتضى، الذي ذكره في ظروف خاصة (٦٠).

١٧ ـ «استشهاد الحسين رضي الله عنه» للإمام الحافظ ابن كثير، ويليه «رأس الحسين» لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدّم له محمد جميل غازي، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ [تاريخ التقديم]، ١٩٠ صفحة، قطع وزيري.

لقد خُرّج هذا الكتاب من تاريخ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) المعروف بالبداية والنهاية. وكتاب «استشهاد الحسين» بضميمة «رسالة رأس الحسين» الذي نحن بصدده، مماثل لعنوان آخر استخرج من تاريخ الطبري، وكلا الكتابين، أي استشهاد الحسين من تأريخ ابن كثير واستشهاد الحسين من تأريخ الطبري، طُبعا ونشرا من قبل أهل السنّة.

والجدير بالاهتمام هنا هو انضمام «رسالة رأس الحسين» التي كتبها ابن تيمية لكتاب ابن كثير، ومعروف أن هذين من أشدّ الناس بغضاً للشيعة والتشيع، خلافاً للمؤرخ الشهير ابن جرير الطبري الذي تتنافى رواياته التي نقلها مع روايات ابن كثير وابن تيمية.

١٨ ـ «سيرتنا وسنّتنا سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسنّته» للعلامة الأميني صاحب كتاب الغدير، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، ١٨٢ صفحة، قطع وزيري.

والكتاب مشحون بالمصادر المهمّة ويمتاز بقبوله لدى العامة، ويتمحور حول السبب في إقامة الشيعة لمآتم العزاء على سيد الشهداء عليه السلام ودأبهم بالتأبين له كل يوم، وزيارة قبره في كربلاء والتبرك بتربته.

١٩ ـ «عبرات المصطفين في مقتل الحسين عليه السلام المأخوذ من أقدم المصادر التأريخية الإسلامية» لمحمد باقر المحمودي، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، المجلد الأول يحتوي على ٤٧٢ صفحة، والثاني ٣٩١ صفحة، حجم وزيري. واعتمد هذا الكتاب القيّم في محتوياته على أربعة مصادر تأريخية، وهي: ١ـ مقتل أبي مخنف الذي نقله هشام بن محمد الكلبي عن تاريخ الطبري تحت عنوان (الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ الطبري). ٢ ـ أنساب الأشراف للبلاذري. ٣ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد. ٤ ـ الأخبار الطوال للدينوري.

وقد قام الأستاذ المحقق المحمودي بإيراد تعليقة مهمّة على معظم فقرات الكتاب ـ كتاب العبرات ـ مما جعل كل كلمة منه تحمل عطاءً جليلاً للباحثين.

٢٠ ـ «الإمام الحسين عليه السلام في أحاديث الفريقين من قبل الولادة إلى بعد الشهادة»، للسيد علي الموحد الأبطحي الإصفهاني، الناشر: المؤلف، الطبعة الأولى، قم ١٤١٤ ـ ١٤١٨هـ، في أربعة مجلدات، ٤٤٠ + ٤٧٦ + ٥٢٨ صفحة، حجم وزيري. والمجلّد الثالث من هذا الكتاب لم يُنشر لحدّ الآن، وما نشر هو ثلاثة مجلدات، ضخّ المؤلف فيها أخباراً من مختلف المصادر، ونقل روايات تتصل بعلم الإمام الحسين ساعياً لإثبات حقيقة أن الإمام كان عالماً بما سيحصل قبل استشهاده. وهذا التكريس للأخبار والروايات حول الإمام الحسين، منح الكتاب إمكانية أن يكون ضمن قائمة مصادر عاشوراء.

وهنا نحاول استعراض عناوين أخرى يمكن اعتبارها ضمن مصادر عاشوراء أيضاً، وهي عبارة عن تحقيق أو تصحيح أو ترجمة للعناوين المتقدّمة التي فرغنا عن ذكرها آنفاً:

١ ـ «الثورة الخالدة» (مقتل الحسين لأبي مخنف) ترجمه للفارسية وصحّحه حجة الله جودكي، مؤسسة التبيان الثقافية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ش/١٩٩٨م، ٣٤ + ١٤٠ صفحة، قطع وزيري.

٢ ـ «ثورة سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وثارات المختار على رواية الطبري وإنشاء أبي علي البلعمي»، تصحيح محمد سرور مولائي، مركز الدراسات الإنسانية والثقافية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٧ش/١٩٩٨م، ٩٤ صفحة، قطع رقعي.

٣ ـ «الحسين عليه السلام سماته وسيرته» (ترجمه شارحه اعتماداً على ما أورده المحدّث المؤرخ الشامي ابن عساكر في كتابه الكبير: تاريخ دمشق) السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ [تاريخ المقدمة]، ٢٢٠ صفحة، قطع وزيري.

١ـ٣ـ خطب الإمام الحسين عليه السلام في المصادر والمصنفات

١ ـ أدب الحسين وحماسته، الكاتب غير معروف، إعداد أحمد صابري همداني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ٢٣١ صفحة، قطع رقعي.

من بين ما يشتمل عليه هذا الكتاب خطب وأشعار ذات مستوى متدنٍّ أدبياً، ولا ترقى لتكون مما قاله أو نطق به الإمام، وأغلب الظنّ أنها قيلت من قبل الآخرين ونسبت إلى الإمام بعد حين.

٢ ـ بازتاب وحي (مهبط الوحي وإشراقاته): من كلام الإمام الحسين عليه السلام، تقديم آية الله مهدي الحائري الطهراني، تأليف مير سعيد حسينيان، طهران، دار الإمام المهدي للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ش/٢٠٠٠م، ١٨٠ صفحة، قطع وزيري.

يمتاز هذا الكتاب بإعرابه الخطب والكلمات المنقولة عن الإمام الحسين عليه السلام بالإضافة إلى ترجمتها للغة الفارسية، ويشرع ـ بعد نقل مجموعة من الفضائل والزيارات ـ بجواب الإمام الحسين على كتاب معاوية، وينتهي بكلامه الذي نطق به آخر لحظات عمره الشريف. وقد ضمّ خطبتين للإمام السجاد عليه السلام وخطبةً واحدة للسيدة زينب، وخطبة واحدة أيضاً منسوبة لفاطمة الصغرى، ويختتم الكتاب مسيرته بزيارة عاشوراء المعروفة.

وبهذا العرض للكتاب نستكشف أن الطابع التبليغي والشخصي يغلب عليه، ولا يرتقي ليكون ضمن قائمة الكتب المحقّقة والمكتوبة عن علم ودراية، فأحياناً نجده يقتصر في نقل الخبر على بحار الأنوار فقط، وأحياناً أخرى ينقل عن كتب غير معتبرة، ولا تشكل مصدراً روائياً كالدمعة الساكبة ومعالي السبطين.

٣ ـ «بلاغة الحسين عليه السلام» للسيد مصطفى آل اعتماد، ترجمه للفارسية علي الكاظمي، الطبعة الثانية، قم، دار اسماعيليان للنشر، ١٤٠٦هـ، ٣٤٥ صفحة، قطع رقعي، بضميمة النص العربي. وقد أخذ هذا الكتاب ترتيب نهج البلاغة، فقسّم إلى

ثلاثة أقسام: خطب الإمام الحسين عليه السلام ورسائله وكلماته القصار.

٤ ـ «مقتطفات من كلام الإمام الحسين عليه السلام» لمنصور كريميان، دار اشرفي للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨١ش/٢٠٠٢م، طهران (بالفارسي). وقد اشتمل هذا الكتاب المفتقِد للإسناد على كلام وشعر منسوب للإمام الحسين، لكن لا يمكن الوثوق بهذه النسبة بأيّ حال، بالإضافة إلى ذلك، فقد ضمّ الكتاب كلام وخطب لأئمة آخرين كالإمام علي عليه السلام.

٥ ـ «رسالة سيّد الشهداء» للسيد علاء الدين العلوي الطالقاني، مطبعة الحيدري، [طهران]، الطبعة الأولى، ١٣٣٧ش/١٣٨٩هـ، ١٥٢ صفحة، حجم رقعي. (بالفارسي). وقد قام المؤلف بجمع وترجمة وشرح كلام الإمام الحسين وفقاً لنسق تأريخي، بدءاً بخروجه من المدينة وانتهاءً بشهادته في كربلاء، وقد اعتمد في الحديث عن أحداث يوم عاشوراء على كلام الإمام الحسين.

٦ ـ «أربعون حديثاً من الإمام الحسين عليه السلام» لعلي صفائي الحائري (عين ـ صاد)، دار ليلة القدر للنشر، قم، الطبعة الأولى ١٣٨٠ش/٢٠٠١م، ٢٢٢ صفحة، حجم رقعي (بالفارسي). وقد اختار المؤلّف في هذا الكتاب أربعين حديثاً للإمام الحسين، فقام بشرح إجمالي لبعض مفرداتها، ثم تحدّث بشكل إجمالي أيضاً حول سند هذه الأحاديث، ثم انتقل إلى ترجمتها للغة الفارسية وشرحها شرحاً مفصلاً، وما يميّز هذا الكتاب هو الأسلوب الأدبي الرائع الذي يمتلكه الكاتب، فقد ألقى بظلاله على الكتاب؛ فنراه أحياناً يضيف نثراً وأحياناً يضخّ شعراً، وهذا الأسلوب في التعاطي مع الكتاب جعله مفتقراً للجدّية وأقصاه عن الكتب العلمية بعض الشيء.

٧ ـ «خطب الإمام الحسين على طريق الشهادة»، للبيب بيضون، دمشق، مطبعة ابن زيدون، [الطبعة الأولى]، ١٩٩٣م، ثلاثة أجزاء في مجلدين، ٤٠٩ صفحات، حجري.

وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب كلام الإمام الحسين معتمداً في ترتيبه على المنازل التي نزل فيها الإمام أثناء سفره من المدينة إلى كربلاء، وفيما يتعلّق بالحديث عن الواقعة، فقد استند المؤلّف في إيراد خطب الإمام على ترتيب الأيام، لكنه أضاف إلى جانب كلام الإمام، كلام أصحابه وكلام أعدائه أيضاً، وفي خاتمة المطاف قام

بسرد الأحداث التي أعقبت شهادة الإمام الحسين، مع أن ذلك لا يتلائم مع موضوع الكتاب ولا مع عنوانه.

٨ ـ «ديوان الحسين بن علي عليه السلام» جمعه ونظمه وشرحه محمد عبد الرحيم، مع مقدمة حامد الخفاف، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، دار المختار العربية، ١٤١٢هـ، ٢٢٢ صفحة، قطع وزيري. وما يرد على هذا الديوان هو أنّ معظم الشعر الوارد فيه لغير الإمام الحسين، بل يصعب القطع بنسبة حتى واحد من الأبيات له.

٩ ـ «طريق الفلاح أو كلام الحسين عليه السلام» لأبي القاسم حالت، طهران، شركة كتب إيران المحدودة للطباعة والنشر، ١٣٥٠ش/١٩٧١م، ١٦٥ + ١٥ صفحة، قطع رقعي. وقد ضمّ هذا الكتاب ـ إلى جانب النص العربي ـ الترجمةَ الفارسية والإنجليزية، وقد جاءت الترجمة الفارسية على نحوين: رباعيات شعرية ونثر، وقد طبع الكتاب طبعة ثانية لكن تحت عنوان «الكلمات القصار للحسين بن علي عليه السلام» في سنة ١٣٦٢ش/١٩٨٣م، في ١٦٤ صفحة.

١٠ ـ «من كلام الحسين بن علي عليه السلام» لمهدي السهيلي، الطبعة الأولى، ١٣٣٥ش/١٩٥٦م، ١٤٥ صفحة، الطبعة الخامسة، مؤسسة اشرفي للنشر، ١٣٦١ش/١٩٨٢م، ٢٠٤ صفحات، حجم رقعي، (الترجمة الفارسية بضميمة النص العربي).

١١ ـ «كلام الحسين بن علي عليه السلام من المدينة إلى كربلاء»، بإشراف وتعليق محمد صادق النجمي، قم، بوستان كتاب، الطبعة التاسعة، ١٣٨١ش/٢٠٠٢م، ٣٩٢ صفحة، قطع وزيري.

يحاول المؤلّف القيام بجمع ما روي من كلام الإمام الحسين الذي قاله في آخر ستّ سنوات من عمره الشريف، لكن يا ترى إلى أي مدى كان موفّقاً في جمعه لسائر الكلام ومنعه لغيره؛ فهذا ما لا يطيقه هذا الموجز، لكن باختصار يجيب المؤلّف في مقدمته حول هذه النقطة قائلاً: «لو أطلقنا على هذا الكتاب عنوان: (مقتطفات من كلام الإمام) بدلاً عن (كلام الإمام) لكنا أقرب إلى الصواب».

وعلى أية حال، فبعد نقله للنصوص العربية قام المؤلف بترجمتها للفارسية وتقديم تفسير إجمالي لبعض مفرداتها، وقد ذيّل كل خطبة أو كلام للإمام بما

حصل عليه واكتسبه من نتائج ومفاهيم، وقد أوجز في ذلك حيناً وأطنب حيناً آخر.

١٢ ـ «كلام سيد الشهداء عليه السلام» لجواد فاضل، طهران، دار علي اكبر علمي للنشر، ١٣٣٥ش/١٩٥٦م، في ١٥٤ صفحة، حجم رقعي. وقد قام المؤلف في هذا الكتاب بترجمة بعض خطب الإمام وكلماته بأسلوب أدبي رائع وشيّق.

١٣ ـ «كلام سيد الشهداء عليه السلام» لشمس الدين رشدية، طهران، ١١٣ صفحة، من الحجم الصغير.

١٤ ـ «كلام سيد الشهداء» الكلمات القصار، لمهدي الأنصار القمي، قم، مؤسسة إمام العصر للطباعة وللنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨١ش/٢٠٠٢م، ٢٨٤ صفحة، حجم رقعي. وقد اعتمد المؤلف في تأليفه هذا الكتاب أسلوب كتاب «غرر الحكم» للآمدي، فرتّبه وفقاً للحروف الأبجدية، لكنّه لم يتقيد بالمصادر المعتبرة وإنما استعان بالمعتبرة وغير المعتبرة على السواء.

١٥ ـ «لهيب النار أو مقاطع من كلام الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه» لحسن شمس الجيلاني، مطبعة مشعل آزادي، طهران، ١٣٥٣ش/١٩٧٤م، ١٥٣ صفحة، قطع وزيري [بالفارسي]. في هذا الكتاب قام المؤلّف بنقل نصوص مطوّلة من خطب الإمام الحسين من كتاب تحف العقول، وترجمها إلى الفارسية، ثم شرح بعضاً من فقراتها بصورة مشتّتة لا على التعيين، وبذات الأسلوب نقل كلمات جملة من شهداء الطف كزهير بن القين والحرّ بن يزيد الرياحي، وسبّاق عاشوراء الشهيد قيس بن المسهّر الصيداوي.

١٦ ـ «صحيفة الحسين عليه السلام» لجواد القيومي الإصفهاني، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ش/١٩٩٦م، ٣٩٦ صفحة، قطع وزيري. يتكوّن هذا الكتاب من ٧٨ دعاءً يتبعها ٢٢ خطبة للإمام الحسين، ثم الخاتمة أربعون حديثاً جمعها المؤلف من مصادر مختلفة، وأدرج النصّ العربي في الجانب الأيمن والترجمة الفارسية في الجانب الأيسر من الكتاب.

١٧ ـ «الصحيفة الحسينية ومستدركاتها» للسيد محمد حسين الشهرستاني الحائري، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة، نشر مؤسّسة الحسين عليه السلام فرع مؤسّسة البعثة، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٧٩ صفحة، قطع وزيري.

كانت معظم نسخ هذا الكتاب منشورة في إيران والهند عام ١٣٠٦هـ وكانت تحتوي ٢٢ دعاء، وقامت مؤسّسة البعثة مؤخراً بإضافة ٥٨ دعاء قصيراً له.

١٨ ـ «الصحيفة الحسينية» للسيد محمد حسين الحسيني المرعشي الحائري (الشهرستاني) ترجمه للفارسية سيد مهدي غضنفري الخوانساري تحت عنوان «الأنفاس القدسية» بقلم محمد باقر أشرف الكتابي، مؤسسة أشرفي للنشر، ١٣٩٣هـ، ٢٦٤ صفحة، حجم رقعي.

وهذا الكتاب عبارة عن ترجمة للكتاب السابق الذي يحتوي على ٢٢ دعاء، لكنه أقصى الدعاء الأخير والملحقات الأخرى، واكتفى بترجمة ٢١ دعاء فحسب.

١٩ ـ «موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام» لجنة علم الحديث في مؤسّسة باقر العلوم للتحقيق، ترجمة علي مؤيدي، قم، دار معروف ومشرقين للنشر، الطبعة السادسة، ١٣٨١ش/٢٠٠٢م، ٩٥٩ صفحة، قطع وزيري [بالفارسي].

٢٠ ـ «موسوعة كلام الإمام الحسين عليه السلام» لمحمد دشتي، قم، مؤسسة أمير المؤمنين للبحث والتحقيق، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ش/١٩٩٨م، ٧٥١ صفحة، قطع وزيري. وهذه الموسوعة ليست سوى صورة أخرى للموسوعة السابقة طبعت طبعةً مستقلة دون أن تختلف عن سابقتها في المضمون.

٢١ ـ «كلمة الإمام الحسين عليه السلام» للسيد حسن الشيرازي، دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٣٥٦ صفحة، قطع وزيري. جمع المؤلّف في هذا الكتاب كلام الإمام الحسين وقسّمه تقسيماً موضوعياً إلى العقائد والأخلاق والعبادات والأحكام والمواعظ والأدعية والمجتمع والسياسة.

٢٢ ـ «لمعات الحسين عليه السلام» للسيد محمد الحسيني الطهراني، دار صدرا للنشر، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ٧٩ صفحة، قطع وزيري. اشتمل هذا الكتاب على عدّة خطب وكلمات للإمام الحسين إلى جانب ترجمتها للغة الفارسية، وتمحورت جميعها حول عاشوراء وما جرى في كربلاء.

٢٣ ـ «لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام» تحتوي على خطبه ورسائله وقصار كلماته، تأليف السيد مصطفى الموسوي آل اعتماد، تحقيق وترجمة محمد حسن الموسوي مشكاة، قم، دار طيار للنشر، ١٤٢١هـ، ٢٦٣ صفحة، قطع وزيري. وهذا الكتاب

هو ذات الكتاب السابق لكن مع التحقيق، وقد أشرنا إليه في بداية هذه المقالة.

٢٤ ـ «منطق الحسين عليه السلام» لأبي الفضل زاهدي، مكتبة صحفي، قم، ١٣٤٨ش/١٩٦٩م، ٢٥٦ صفحة، حجم رقعي. وقد اشتمل هذا الكتاب هو الآخر على جملة من الأدعية والخطب والروايات وبعض الشعر المنسوب للإمام الحسين، نقلت جميعها من مصادر شتّى، معتبرة وغير معتبرة، ثم تمّت ترجمتها للغة الفارسية.

٢٥ ـ «منهاج البلاغة في خطب ورسائل وحكم الإمام الحسين عليه السلام» لكريم زريجي، دار نور الوحي للنشر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ١٢٤ صفحة، حجم وزيري. تمّ تأليف هذا الكتاب على غرار كتاب نهج البلاغة؛ فجمعت فيه ١٨ خطبة و١٣ رسالة و٧٠ قولاً بين حكم وكلمات قصار، كما تمّ شرح بعض المفردات في حاشية الكتاب.

٢٦ ـ «موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام» إعداد لجنة علم الحديث في مؤسسة باقر العلوم، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ٨٧٨ صفحة، قطع وزيري. وهي موسوعة كبيرة وواسعة تمّ إعدادها بأسلوب فريد أدى إلى قبولها لدى معظم القراء والباحثين، بحيث تمّ إعادة طباعتها في سنتها الأولى ثلاث مرات على التوالي، وها هي الطبعة الرابعة على باب النشر تنتظر مرور اللمسات الأخيرة بغية إخراجها بالصورة التي تليق بها.

إن موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام المشار إليها أعلاه تضم ٩٩٦ رواية و١٤٩ مقطعاً شعريّاً منسوباً للإمام الحسين، خرجت في جزئين ضمن مجلّد واحد كبير، والجزء الأول يشتمل على كلام الإمام والشعر المنسوب إليه تمّ ترتيبه وفقاً لتاريخ الصدور، ضمن أربعة فصول: الفصل الأول: كلام الإمام الحسين عليه السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الفصل الثاني: كلام الإمام في عهد الإمام علي عليه السلام. الفصل الثالث: كلام الإمام وشعره في عهد ولاية أخيه الإمام الحسن عليه السلام. الفصل الرابع: كلامه وشعره إبّان إمامته وحتى شهادته.

أما الجزء الثاني من الكتاب، فقد ضمّ كلام الإمام وشعره لكن وفقاً للترتيب الموضوعي، وهو يشتمل على كل كلام وشعر للإمام لم يتم التعرّف على زمن صدوره. وهذا الجزء تضمن خمسة فصول: ١ـ أصول العقائد ٢ ـ الأحكام الفقهية

والعملية (من الطهارة إلى الديات) ٣ ـ الأخلاق وآداب المعاشرة ٤ ـ الأدعية المأثورة عنه ٥ ـ الشعر المنسوب إليه، وقد تمّ ترتيبه وفقاً لحروف القوافي حسب الحروف الأبجدية.

ولم تخلُ هذه الموسوعة من بعض المشاكل ونقاط الضعف، وأهمّها أنّ الإخوة العاملين في هذه الموسوعة الروائية لم يكتفوا بمصادر الدرجة الأولى والثانية، وإنما اعتمدوا على مصادر لا يعتدّ بها وغير معتبرة في بعض الأحيان كأسرار الشهادة للفاضل الدربندي ومعالي السبطين للحائري و.. مما أدى إلى دخول بعض الروايات المحرّفة والمختلقة، الأمر الذي يدعنا نقول وبكل صراحة: إن عُشر كتاب «موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام» لا يمكن الاعتماد عليه والوثوق به؛ لاشتماله على روايات مجعولة وخالية من السند.

طبعاً لابد من التنويه بالمساعي الحثيثة التي يبذلها الأخوة الأعزاء في مؤسّسة باقر العلوم في العمل على تهذيب الموسوعة وتنقيحها بغية إصدار الطبعة الرابعة خاليةً من الأخبار الموضوعة والمختلقة، بالإضافة إلى أنهم زادوا هذه الطبعة مجموعةً من الفهارس الحرفية والضرورية، والتي تحتاجها كل موسوعة بهذا الحجم، إذ خلوّ الموسوعات الكبيرة من الفهارس الحرفية يجعل من الصعب على القارئ التوصّل إلى مبتغاه منها؛ فتكون كالكنوز التي لا تنالها الأيدي.

٢٧ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين %

ويعدّ هذا التصنيف من أجود الموسوعات التي جمعت كلام الإمام الحسين، وعلى الرغم من عدم شموليته للروايات كافة إلا أن الجهود المضنية التي بذلها العاملون عليه، والتي شملت تنقيح الروايات وتصحيحها جعلها إن لم تكن جامعة مانعة فهي على الأقل مانعة من ورود الروايات الموضوعة والمختلقة.

وقد تم ترتيب هذه الموسوعة ضمن ثلاث فصول مطوّلة:

أ. الفصل الأول يتمحور حول حياة الإمام الحسين ومناقبه وفضائله وسرد لأحداث ووقائع مناهضته لمعاوية ويزيد، وذكر شهادته مع أولاده وأصحابه، ويمثل هذا الفصل القسم الأعظم من الكتاب؛ إذ يشمل المجلّد الأول والثاني و٧٨ صفحة من المجلّد الثالث أيضاً، ويمكن اعتبار هذا الفصل «فصل المقتل».

ب. الفصل الثاني ويتمحور حول الروايات والأخبار المنقولة عن الإمام، والتي

تدور حول التوحيد والإمامة وأحكام الدين والأخلاق والسنن، ويشغل هذا الفصل حيّزاً من الكتاب يمتدّ من الصفحة ٧٩ وحتى ٣١١ من المجلّد الثالث.

ج. الفصل الثالث، ويختصّ بذكر الرواة الذين نقلوا عن الإمام الحسين، بكافة أنواع النقل المرسل منه أو المتصل، وقد ذكرت أسماؤهم وفقاً للحروف الأبجدية، بالإضافة إلى موجز عن حياتهم وسيرتهم، وما قيل فيهم من المدح أو الذم أو القدح. وقد بدأ ذكر الرواة بإبراهيم بن سعيد وانتهى بيونس بن أبي إسحاق، وقد شغل هذا الفصل أي الثالث حيّزاً من الكتاب بلغ ما بين الصفحة ٣١٣ والصفحة ٤١٨ من المجلد الثالث.

وأما خاتمة الكتاب، فامتدّت ما بين الصفحة ٤١٩ والصفحة٤٩٠، وقد اشتملت على مراثي شعراء القرن الرابع في حقّ سيد الشهداء..

٢٨ ـ «نهج شهادة الحسين عليه السلام» ترجمة وتدوين أحمد فرزانه، تنقيح وإسناد مرتضى الرضوي، الناشر مؤسّسة ثقافة أهل البيت، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ٥٠٣ صفحات، قطع وزيري. اعتمد مؤلفو هذا الكتاب على مصادر متأخرة وغير معتبرة كناسخ التواريخ و.. بل نقلوا عن كتب موضوعة كأسرار الشهادة للدربندي. واعتمدوا في كثير من الأحيان الوساطة في النقل، وهو ما من شأنه أن يعرّض الكتاب للضعف من حيث النقل والإسناد.

٢٩ ـ «الوثاقة الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام» لعبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، الطبعة الثالثة، قم، ١٤٠٤هـ، ٢٦٤ صفحة، حجم رقعي. صبّ مؤلف هذا الكتاب اهتمامه على الرسائل المتبادلة بين الإمام الحسين والآخرين ـ من المخالفين وعمّال يزيد ـ والتي دوّنت في الستة أشهر الأخيرة من حياته، وقد اعتبر الكاتب هذه الرسائل «وثائق وحجج رسمية دامغة» لها دورها في واقعة الطف، وقد استغلّها في تحليل الواقعة وتفسيرها.

المصادر الشاملة

إن إعداد هذا النوع من المصادر عادةً ما يكون كبيراً؛ وذلك لأن وجود أيّ نص من النصوص القديمة ـ ولو كان في جملة قصيرة ـ في كتاب معتبر يمكنه أن يحوّل

ذلك الكتاب مصدراً مهماً يرجع إليه في خصوص ما تحدّث عنه، بالرغم من إيجاز النص.

لكننا ـ مع ذلك ـ نضع ثلاثة معايير للمصادر التي سوف نذكرها، وهي:

أولاً: المصادر التي تناولت الإمام الحسين ووقعة الطف في حيّز لا يقلّ عن فصل كامل.

ثانياً: المصادر التي تناولته في حديث مطوّل.

ثالثاً: المصادر التي يحتلّ حديثها أهميةً قصوى اقتضت نقله.

وطبقاً لهذه المعايير؛ تكون المصادر على النحو التالي:

١ ـ مثالب العرب، لهشام الكلبي (٢٠٤هـ).

٢ ـ نسب قريش، لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري (٢٣٦هـ).

٣ ـ الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ).

٤ ـ أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى البلاذري (٢٧٩هـ).

٥ ـ بلاغات النساء، لابن طيفور (٢٠٤ ـ ٢٨٠هـ).

٦ ـ الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ).

٧ ـ تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب، ابن واضح اليعقوبي (٢٩٢هـ).

٨ ـ تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ).

٩ ـ الذرية الطاهرة، لأبي بشير محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ).

١٠ ـ سرّ السلسلة العلوية، لأبي نصر البخارائي المولود سنة (٣٤١هـ).

١١ ـ مروج الذهب، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦هـ).

١٢ ـ إثبات الوصية، للمؤلّف نفسه.

١٣ ـ دلائل الإمامة، لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (بعد: ٣٥٠هـ).

١٤ ـ مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ).

١٥ ـ الأمالي، للشيخ الصدوق (٣٠٥ ـ ٣٨١هـ).

١٦ ـ عيون أخبار الرضا، للمؤلّف نفسه.

١٧ ـ معاني الأخبار، له أيضاً.

١٨ ـ علل الشرايع، له أيضاً.
١٩ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ).
٢٠ ـ تجارب الأمم، لأبي علي مسكويه الرازي (٣٢٠ ـ ٤٢١هـ).
٢١ ـ تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب، لأبي طالب الزيدي (٤٢٤هـ).
٢٢ ـ الإفادة في تاريخ الأئمة، للمؤلف نفسه.
٢٣ ـ الأمالي الخميسية، ليحيى بن حسين بن إسماعيل الشجري الجرجاني (٤٧٩هـ).
٢٤ ـ روضة الواعظين، لفتال النيشابوري (٥٠٨هـ).
٢٥ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، لأمين الإسلام أبي علي الطبرسي (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ).
٢٦ ـ الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي (٥٨٨هـ).
٢٧ ـ مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب المازندراني (٤٨٩ ـ ٥٨٨هـ).
٢٨ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (٥٩٧هـ).
٢٩ ـ كتاب الرد على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد، للمؤلّف نفسه.
٣٠ ـ الكامل في التاريخ، لابن أثير الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ).
٣١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، للمؤلف نفسه.
٣٢ ـ تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي (٥٨٢ ـ ٦٥٤هـ).
٣٣ ـ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (٦٥٦هـ).
٣٤ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن عديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ).
٣٥ ـ إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس (٥٨٩ ـ ٦٦٤هـ).
٣٦ ـ مصباح الزائر، للمؤلف نفسه.
٣٧ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمة، لأبي الحسن علي بن عيسى الأربلي (٦٩٣هـ).
٣٨ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحبّ الدين الطبري (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ).
٣٩ ـ فرائد السمطين، لإبراهيم بن محمد الحموي الخراساني (٧٣٠هـ).
٤٠ ـ تاريخ الإسلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ).

٤١ ـ سير أعلام النبلاء، للمؤلّف نفسه.

٤٢ ـ نظم درر السمطين، لجمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي (٧٥٠هـ).

٤٣ ـ معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول، للمؤلّف نفسه.

٤٤ ـ كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، لتقي الدين المقريزي (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ).

٤٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

٤٦ ـ الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمة، لابن الصبّاغ المالكي (٨٥٥هـ).

٤٧ ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، لأبي البركات محمد بن أحمد الباعوني الشافعي (٨٧١هـ).

بالإضافة إلى هذه المصادر السبعة والأربعين، هناك عشرات الكتب الأخرى التي تحدّثت بشكل أو بآخر عن الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء، ككتاب سُليم بن قيس الهلالي، وعوالي اللئالي، وكتاب السرائر، والميزان، والصواعق المحرقة، وجمهرة أنساب العرب، والثاقب في المناقب، ومسند ابن حنبل، وفضائل الصحابة، والمجموعة النفيسة، ومقدمة وتاريخ ابن خلدون، ونهاية الإرب في فنون الأدب، ونهاية التنويه في إزهاق التمويه والتنبيه، والاشراف، ومصباح الكفعمي، وشرح الأخبار، وجامع الأخبار، والوافي بالوفيات.

موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، الإنجاز الأضخم

تعدّ هذه الموسوعة أضخم مجموعة شاملة وجامعة لمصادر سيرة الإمام الحسين عليه السلام، فقد تمّ في هذا الإطار إدراج المصادر المستقلّة بأجمعها وإدراج خصوص ما يتعلّق بالإمام الحسين من المصادر غير المستقلّة، وقد بلغ حجم المشروع درجةً من الاتساع بحيث ضمّ ـ إضافة لما أوردناه من المصادر أعلاه [٦١] ـ عشرات الكتب والمصادر الأخرى، فنحن هنا استقصينا معظم مصادر السيرة الحسينية، لكن توقّفنا عند القرن التاسع للهجرة، بينما تجاوز الإخوة المؤلّفون لموسوعة الإمام الحسين هذا القرن، وضمّوا إلى الكتاب مصادر وكتباً متأخرة ومعاصرة أيضاً.

ومع وجود بعض الإشكاليات التي يمكن إيرادها على هذا الموسوعة، إلا أن الفوائد الجمّة التي تترتب عليها والتي سنذكرها لاحقاً من شأنها التغلّب على نقاط الضعف هذه، وفي هذا الصدد جاء في مقدمة الموسوعة: «لقد تمّ ترتيب نصوص هذا الكتاب ـ الموسوعة ـ وفقاً لمصادرها واستناداً لأسبقيّة المصادر على الأخرى. وجعلنا تقدّم المؤلفين، وليس تقدّم رواة الأحاديث، معياراً للتقديم والتأخير، فعلى سبيل المثال، يعتبر أبو حنيفة الدينوري وابن قتيبة الدينوري متقدّمان على الطبري، مع أنّ الأحاديث التي نقلاها خالية من الإسناد بينما تسند روايات الطبري إلى أبي مخنف الأزدي وهشام بن محمد الكلبي وأمثالهم.

ومن ميزات الكتاب أن النصوص التأريخية لم تدمج فيه، ومعنى ذلك أن سائر النصوص المتشابهة تمّ تكرارها وذكرها مرةً ثانية، وهذا الأمر من شأنه تسليط الضوء على الفوارق الموجودة بين النصوص، وفي حال كان النص المتأخر مطابقاً للمتقدّم يتمّ إرجاع القارئ إلى النصّ المتقدم من خلال رموز معينة، تمّ إيضاحها في مقدمة الكتاب»(٦٢).

«إن الهدف من هذا المشروع هو حصر كافة البحوث التي دوّنت حول عاشوراء [والإمام الحسين عليه السلام بصورة عامة] وذلك كي يتسنّى للباحثين والمحققين والخطباء والأدباء مراجعة المصادر والاستفادة منها»(٦٣).

«في هذا البحث المطوّل ـ مشروع موسوعة الإمام الحسين عليه السلام ـ لم نتعرّض إلى صحّة أو سقم الأخبار والروايات، وإنما اقتصرنا على ذكرها فقط، فهي بمثابة مواد أولية تُسعف الباحثين والقراء في مشاريعهم العلمية، كما توقفهم على التناقضات والاختلافات التي منيت بها النصوص»(٦٤).

ولا بد من القول بأن القائمين على هذا المشروع الواسع قد بذلوا جهداً كبيراً ومفيداً وفعالاً في الوقت نفسه، وقد تمكّنوا من طي معظم المسافة في هذا الدرب الطويل والوعر، ويبدو أن نصف المشروع قد ظهر إلى النور، فقد شاهدت ـ والكلام لصاحب الدراسة الحالية ـ ستّة مجلدات منه(٦٥).

وتظهر فائدة هذا المشروع إذا ما علمنا أن الباحث الذي يكون بصدد البحث حول عاشوراء، ومهما كان نشطاً وجاداً ودقيقاً، إلا أنه لن يتمكّن من الوقوف على

جميع ما ورد في موسوعة الإمام الحسين حتى لو صرف في ذلك عمراً مديداً، في حين نجد أن الموسوعة قد وفّرت عليه الجهد من خلال جمع المصادر ضمن دائرة محدّدة، وتصنيفها تصنيفاً تاريخياً مما يسهّل عملية الرجوع إليها.

ولم يقتصر المؤلفون على إيراد كتب المقاتل والمراثي، وإنما عززوا الموسوعة بالكتب التاريخية والروائية والتفسيرية والرجالية، إضافةً إلى أنهم عملوا على إخراج النصوص التي تتصل بموضوع الموسوعة ومهما بلغ حجمها ـ حتى لو اقتصرت على سطر واحد ـ من كتب المجالس والأمالي والمعاجم، وأوردوها في المكان المناسب من موسوعة الإمام الحسين.

ومن المناسب هنا أن نذكر، إضافةً لما ذكرناه سابقاً، بعض المصادر التي شارك قسمٌ من نصوصها، ولم تشارك بأكملها، في تكوين موسوعة الإمام الحسين، وهي: السيرة النبوية، وأخبار الخلفاء، وكتاب الفخري في الآداب السلطانية، والأصيلي في أنساب الطالبيين، والعقد الفريد، والاستيعاب، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، وعمدة الطالب، ولباب الأنساب، وعيون الأخبار والمعارف، وروح المعاني في تفسير القرآن، ومقتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والطرائف، وسعد السعود، والتبيين في أنساب القرشيين، والآثار الباقية، وكتاب النسب، ومنتهى المقال، وتفسير أبي الفتوح الرازي، ودلائل النبوة، وحلية الأولياء، ومسند أبي يعلى الموصلي، وصحيح البخاري، والتاريخ الكبير، والسنن الكبرى، والجامع الصحيح، والتفسير المنسوب للإمام العسكري، والمستدرك على الصحيحين، ووسائل الشيعة، وإثبات الهداة، ومستدرك الوسائل، والوافي، وبحار الأنوار، وتفسير الصافي، وتفسير نور الثقلين، وروضة الصفا، وحبيب السير، وتجّار السلف، وحياة الحيوان الكبرى، وعشرات الكتب الأخرى من هذا القبيل، حتى أنها شملت تاج العروس أيضاً[٦٦].

ومن الكتب المتأخرة التي شاركت في موسوعة الإمام الحسين، نذكر: مع الحسين في نهضته، ومناهل الضرب، وأعيان الشيعة، ولواعج الأشجان، وأصدق الأخبار، ومقتل الحسين عليه السلام أو واقعة الطف لمحمد تقي بحر العلوم، والدمعة الساكبة، والكبريت الأحمر، والتوابون، والأنوار النعمانية، ومزارات أهل البيت،

وحول البكاء على الإمام الحسين، وأسرار الشهادة، ومنتخب الطريحي، ومعالي السبطين، ووسيلة الدارين وإبصار العين، وناسخ التواريخ، ومدينة المعاجز، وأدب الحسين وحماسته، وجلاء العيون، وعين الحياة، وتسلية المجالس، والحسين في طريقه إلى الشهادة، ووسائل المظفري، ومثير الأحزان في أحوالات الأئمة الإثني عشر (٦٧)، وكتباً عديدة أخرى في هذا المجال.

لكن الملاحظ أنّ هذه النصوص المتأخرة تفقد هيبتها إذا ما وضعت إلى جانب المصادر المتقدّمة، كما أنها تُظهر ضعف مؤلّفيها وعدم اهتمامهم بتنقيح النصوص المتقدّمة وتصحيحها، وإنما اكتفوا بالإضافة عليها، وقد يصل بهم الأمر أحياناً إلى اقتناص نصّ متقدم أو رواية قصيرة وتدوين كتاب كامل حولها. إنّ هذه الصورة تعكس بوضوح أهمية موسوعة الإمام الحسين عليه السلام وتجعلها كاشفةً لهذه الحقائق.

أمثلة للمبالغات التاريخية في قصة عاشوراء

ومن الجدير أن نسوق هنا بعض الأمثلة لتلك الكتب التي ألّفت على غرار ألف ليلة وليلة:

١ ـ أجمعت المصادر على أن عدد القتلى في جيش عمر بن سعد بلغ ٨٨ شخصاً، إلا الشيخ مهدي الحائري المازندراني (صاحب معالي السبطين)، فإنه بالغ في عدد القتلى حتى وصل إلى ١٥٠ ألف قتيل، من دون أن يسوق أدلّةً أو براهين لإثبات ذلك(٦٨).

٢ ـ كما أنه رفع عدد شهداء عاشوراء ـ من الجانب الحسيني ـ من ٧٣ أو ١٠٧ ـ على أكثر الأقوال ـ إلى ٢٣٣ شهيداً (٦٩).

٣ ـ كان عدد أصحاب الإمام الحسين حال نزوله كربلاء ٦٩ رجلاً، وقد ارتفع العدد بانضمام ٢٠ رجلاً من جيش عمر بن سعد؛ فبلغ المجموع ٨٩ رجلاً، لكن ما نلاحظه أنّ العدد أخذ يتصاعد عبر التاريخ شيئاً فشيئاً حتى بلغ في كتابي: بحار الأنوار وعوالم العلوم، إلى ألف راكب ومائة راجل(٧٠).

٤ ـ وكان للجروح التي أصيب بها الإمام الحسين نصيبٌ من مبالغة المؤرخين،

فقد ازداد عددها من ٦٣ جرحاً إلى ١٢٠، ثم إلى ٣٢٠، وصولاً إلى ١٩٠٠ جرحاً، ثم ارتفع العدد بالغاً أربعة آلاف ومائة وثمانين (٤١٨٠) جرحاً[٧١].

ولم تقتصر هذه المبالغات على الأعداد، وإنما شملت الوقائع التي شهدتها أرض الطف، فعلى سبيل المثال نشير إلى الأحداث التي سردتها كتب المقاتل في ما قام به حبيب بن مظاهر الأسدي [٧٢]، أو ما أقدم عليه أبو الفضل العباس، فبالغوا في ذلك وأطنبوا، حتى أنهم ألّفوا قصصاً وسردوا روايات ضخمة تعليقاً على جزء من رواية تحدّثت عن مشهد ما حدث في يوم عاشوراء. ولا يسعنا أن نأتي على ذكرها في هذه العجالة[٧٣].

أضواء على موسوعة الإمام الحسين عليه السلام

«لقد تمّ تقسيم الموسوعة إلى ثلاثة محاور أساسية: المحور الأول: عرض تاريخي إلى جانب تحليل شامل للأسباب التي ساهمت في وقوع حادثة عاشوراء وما ترتّب عليها وما نتج عنها. وفي هذا المحور أيضاً نجد استعراضاً مفصّلاً لحياة الإمام الحسين والفترة التي عاشها في ظلّ حكومة معاوية، ثم هلاك الأخير وانتقال الخلافة إلى يزيد وامتناع الإمام عن البيعة له، ثم خروجه من المدينة والرحيل من مكة باتجاه كربلاء، وصولاً إلى حادثة عاشوراء ومقتل سادات الشهداء [شهداء بني هاشم] وعلى رأسهم سيد الشهداء، والحوادث التي أعقبت الواقعة ثم عودة أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة. وفي خاتمة المحور نجد فصلاً كاملاً تحت عنوان (جزاء قَتَلة الإمام الحسين عليه السلام وثارات المختار) » [٧٤].

لقد تمّ نشر معظم فقرات المحور الأول في خمسة مجلدات إلا جزء يسير لم يكتمل لحدّ الآن، وهو ما يتعلّق بحوادث الطريق بين الكوفة والشام وما وقع في مدينة دمشق ورجوع أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة[٧٥]، بالإضافة إلى الملحق المختصّ بثورة المختار التي تذكر عادةً بدلاً عن سيرة الإمام السجاد عليه السلام الذي كان حاضراً بنفسه يوم عاشوراء، ثم تلحق بشكل غير موضوعي بسيرة الإمام الحسين.

«المحور الثاني: اختصّ بذكر أحوال أصحاب الحسين عليه السلام، وشمل أهل البيت والأصحاب والنساء اللائي حضرن يوم عاشوراء»[٧٦]. وما نشر من هذا المحور لحدّ

هذه اللحظة هو ما يتعلّق بالشهداء من أولاد الإمام علي عليه السلام ومعظمه في الحديث عن أبي الفضل العباس (المجلد التاسع).

«المحور الثالث: ويختصّ بذكر حياة الإمام الحسين عليه السلام منذ الولادة وحتى يوم عاشوراء، كما يشتمل على ذكر فضائله ومناقبه وما نزل فيه من الآيات، وذُكر في حقّه من الأحاديث والروايات»(٧٧).

لقد بلغ النجاح الذي حقّقه العاملون على موسوعة الإمام الحسين حداً يبعث على الدهشة، وخصوصاً عندما يجد القارئ نفسه أمام هذا الكمّ الهائل من الروايات والآراء والأقوال المختلفة والمتضاربة وقد جمعها كتابٌ واحد، وكعينة على هذا التضارب ـ فيما بين الروايات ـ نعرض أنموذجين: الأول تحت عنوان «رأس الحسين عليه السلام أين دفن؟ وكيف دُفن؟ ومتى دُفن» (٧٨)، والثاني تحت عنوان «من سَلِمَ من مذبحة عاشوراء»(٧٩).

فمن الملاحظات التي يمكن إيرادها على المؤلفين ـ في هذا السياق ـ أنهم لم يبذلوا جهداً كافياً في دراسة المصادر والنصوص المتقدمة، سوى إشارات عابرة سجّلت في حقّ بعض المصادر، كالتي جاءت تحت عنوان «من أخطاء المقتل المنسوب إلى أبي مخنف»(٨٠)، ولم يخل الكتاب من بعض الأخطاء التي عثرنا عليها ضمن قراءتنا والتي نشير إليها أدناه:

١ ـ تمّ نسبة كتاب «رياحين الشريعة» لرسولي محلاتي(٨١)، في حين يعود الكتاب إلى ذبيح الله محلاتي، وهو ما ورد أيضاً في فهرس مصادر الكتاب.

٢ ـ نجد في النصّ المنقول عن كتاب «بطل العلقمي» جملة: «إذ الأخ لا يرث مع الإمام»(٨٢)، فيما الصحيح هو «مع الأم». ولا يخفى أن مثل هذه المشروع الضخم والصعب لا يقلّل من أهميته بعض الأخطاء اليسيرة كالتي ذكرت.

وجدير بموسوعة الإمام الحسين ما جاء في المقدّمة التي قدّمها للكتاب العلامة الجعفري، والتي نعرض جزءاً منها كحُسن ختام لهذه الدراسة: «لقد قام بالعمل على هذا المشروع نخبةٌ من العلماء المطلعين والعاشقين الأوفياء لقافلة سيد عشاق الحق والحقيقة (الإمام الحسين بن علي عليه السلام) وبذلوا في ذلك سنوات مديدة من حياتهم المباركة، ولا يسعني بكلمات موجزة أن أصف مشروعاً بهذا الحجم وبهذه

الضخامة؛ فكل من حظي بمراقبة مراحل تطوّر هذه الموسوعة التي قلّ نظيرها وظروف نشأتها سوف يجد أنها إحدى المشاريع الإنسانية الضخمة والتي تعدّ مصداقاً للنفحات الإلهية التي تتجلّى في حياة العباد، فمن الضروري بمكان التعرف عليها والحرص على الاهتمام بها»[٨٣].

- يتبع -

* * *

الهوامش

١ ـ الطوسي، الفهرست: ٣٧، ٣٨، الرقم ١٠٩.
٢ ـ التستري، قاموس الرجال ٢: ١٦٥.
٣ ـ آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٢: ٢٤.
٤ ـ المحدث النوري، اللؤلؤ والمرجان: ١٥٠؛ وقد كان العاملون على كتاب تاريخ الإمام الحسين على علم بهذه الحقيقة، وصرّحوا بعدم وثاقة المقتل المنسوب لأبي مخنف في أكثر من مقام؛ فراجع: كتاب تاريخ الإمام الحسين ١: ٨٩٥، و٢: ٨٤٣، و٣: ٨١٧، و٤: ٨٩٢، و٥: ٨٨٣، و٩: ١٠٠٤.
٥ ـ محمد باقر المحمودي، عبرات المصطفين ١: ٦.
٦ ـ رجال النجاشي: ١٢٨.
٧ ـ فهرست ابن النديم: ٢٧٥.
٨ ـ آغا بزرك الطهراني، الذريعة ٢٢: ٢٨.
٩ ـ فهرست ابن النديم: ١٦٥.
١٠ ـ الذريعة ٢٢: ٢٨.
١١ ـ رجال النجاشي: ٤٢٧، الرقم ١١٤٨؛ وفهرست الطوسي: ١٧١؛ وفهرست ابن النديم: ١٥٨.
١٢ ـ المحقق الطباطبائي، أهل البيت في المكتبة العربية: ٥٣٥.
١٣ ـ فهرست الطوسي: ٩٥، الرقم ٣٩٥.
١٤ ـ ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ٧٢، الرقم ٤٨٦.
١٥ ـ الذريعة ٢٠: ٢٩٣.
١٦ ـ أهل البيت في المكتبة العربية: ٤٦٣.
١٧ ـ رجال النجاشي: ١٩، الرقم ٢١؛ وفهرست الطوسي: ٧، الرقم ٩.

١٨ ـ فهرست الطوسي: ١٠٤، الرقم ٤٣٨؛ ومعالم العلماء: ٧٦، الرقم ٥٠٦.
١٩ ـ فهرست الطوسي: ٧٩؛ ومعالم العلماء: ٥٧.
٢٠ ـ رجال النجاشي: ١٨٧.
٢١ ـ المصدر نفسه: ١٧، الرقم ١٩؛ وفهرست الطوسي: ٤، الرقم ٧.
٢٢ ـ الذريعة ٢٢: ٢٣.
٢٣ ـ أهل البيت في المكتبة العربية: ٥٣٧.
٢٤ ـ رجال النجاشي: ٣٤٦؛ وفهرست ابن النديم: ١٧٩.
٢٥ ـ الذريعة ٢٠: ٢٩٣.
٢٦ ـ رجال النجاشي: ٢٤٢؛ والذريعة ٢٢: ٢٥.
٢٧ ـ التستري، قاموس الرجال ٦: ١٨٧ ـ ١٨٩.
٢٨ ـ المسعودي، مروج الذهب ١: ٢١.
٢٩ ـ رجال النجاشي: ٣٤٨، الرقم ٩٣٩.
٣٠ ـ فهرست ابن النديم: ٤٠٦.
٣١ ـ رجال النجاشي: ٣٥٣، الرقم ٩٤٦.
٣٢ ـ المصدر نفسه: ٣٧٢؛ وفهرست الطوسي: ١٣٣؛ وفهرست ابن النديم: ٣٩٣.
٣٣ ـ أهل البيت في المكتبة العربية: ٥٣٨، نقلاً عن كشف الظنون ٢: ١٧٩٤.
٣٤ ـ المصدر نفسه: ٥٣٩.
٣٥ ـ أمالي الصدوق: ٢١٥؛ والذريعة ٢٢: ٢٥.
٣٦ ـ أهل البيت في المكتبة العربية: ٥٣٩، ٥٤٠.
٣٧ ـ فهرست الطوسي: ١٥٦، الرقم ٦٩٥؛ ومعالم العلماء: ١١١، الرقم: ٧٦٤.
٣٨ ـ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٩٨؛ وله أيضاً: الخصال، باب الاثنين: ٦٨، ذيل الحديث ١٠١.
٣٩ ـ رجال النجاشي: ٣٨٥.
٤٠ ـ الذريعة ٢٢: ٢٨.
٤١ ـ فهرست منتجب الدين الرازي: ١٨٠.
٤٢ ـ أهل البيت في المكتبة العربية: ٥٤٨.
٤٣ ـ فهرست الطوسي: ١٦١.
٤٤ ـ معالم العلماء: ١١٥.
٤٥ ـ الذريعة ٢٢: ٢٢.

٤٦ ـ أهل البيت في المكتبة العربية: ٥٤٦.

٤٧ ـ المصدر نفسه: ٥٤٧.

٤٨ ـ الذريعة ٨: ٨٢؛ ومجلّة العالم الإسلامي (بالفارسية) ٤: ٦٨٠.

٤٩ ـ الذريعة ٢٠: ٣٠١.

٥٠ ـ المصدر نفسه ٢٢: ٢٨.

٥١ ـ ابن طولون، الأئمة الإثنا عشر: ٧٢ (تحقيق صلاح الدين منجد).

٥٢ ـ الذريعة ٢٠: ٣٢١.

٥٣ ـ ابن قولويه، كامل الزيارات، المقدمة: ٤؛ والخوئي، معجم رجال الحديث ١: ص، من المقدمة؛ والسبحاني، كليات في علم الرجال: ٢٩٩.

٥٤ ـ راجع: مجلّة علوم الحديث الفصلية [الصادرة باللغة الفارسية]، العدد ٣٠: ٢٧٧ ـ ٢٨٤.

٥٥ ـ الموسوعة الإسلامية الكبرى، ج٤، مقالة ابن عساكر.

٥٦ ـ ابن الأبار، درر السمط: ٩٢، ٩٣.

٥٧ ـ المصدر نفسه: ٦٦.

٥٨ ـ المصدر نفسه: ٩٤.

٥٩ ـ المصدر نفسه.

٦٠ ـ وقد تحدّثنا بالتفصيل عن ذلك في محلّ آخر، راجع كتاب: صحتي سردرودي، الشهيد فاتح في مرآة الفكر، قم، دار معارف للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ش/٢٠٠٣م، (باللغة الفارسية). ويمكن مراجعة الأصل الذي تمّ نشره مرةً أخرى بعد تنقيحه وإعادة صياغته، في هذا الكتاب نفسه، الفصل الثالث: عاشوراء في مرآة الفكر والرأي.

٦١ ـ وقد ذكرنا في هذه الدراسة ١٤٢ مصدراً، ٤٦ منها لم يتمّ نشره، و٢٠ تمّ نشره ككتاب مستقل، و٤٧ تمّ نشره ككتاب غير مستقل، و٢٩ مصدراً منها مختصّ بكلام الإمام الحسين. والمصادر التي لم تذكر في موسوعة الإمام الحسين لحدّ الآن، تقتصر على مصادر القسم الأخير، أي المتعلّقة بكلام الإمام الحسين، وأغلب الظن أنهم سيدرجونها في موسوعة الإمام الحسين في المجلد المختص بكلامه. وإلا فقد تمّ ذكر كافّة المصادر سوى عنوانين أو ثلاثة كدرر السمط في خبر السبط، ومعارج الوصول إلى معرفة آل الرسول.

٦٢ ـ تاريخ الإمام الحسين ١: ١، المقدمة.

٦٣ ـ المصدر نفسه: ٩.

٦٤ ـ المصدر نفسه: ١٣.

٦٥ ـ وقد نشر مؤخراً المجلّد السابع منها.

٦٦ ـ راجع: تاريخ الإمام الحسين ٥: ٤٩، ٤٥٣، ٥٢٦.

٦٧ ـ من المهم التنويه إلى أنه على الرغم من كثرة ما نقلوا عن هذا الكتاب (مثير الأحزان في أحوالات الأئمة الإثني عشر) في المجلّدات الأربعة الأولى من موسوعة الإمام الحسين، إلا أنهم لم يشيروا إلى هوية الكتاب ـ لا في ضمن النصوص؛ إذ ذكروا العنوان ناقصاً (مثير الأحزان) ولا في فهرست المصادر؛ إذ لم يشيروا إليه إطلاقاً ـ وقد أدى ذلك إلى الخلط ما بين هذا الكتاب الضعيف وغير المعتبر وبين الكتاب المتقدّم والمعتبر، أي مثير الأحزان لابن نجم الدين ابن نما الحلّي.

٦٨ ـ راجع تاريخ الإمام الحسين ٥: ١٣٦، ١٣٧.

٦٩ ـ المصدر نفسه: ٦١، ٨٤.

٧٠ ـ المصدر نفسه ٢: ٦١٧، و٣: ٢٤٢ ـ ٢٥٠، ٨٠٧ ـ ٨٠٩.

٧١ ـ المصدر نفسه ٤: ٦٣٩ ـ ٦٤٩.

٧٢ ـ المصدر نفسه ٢: ٧٥٤ ـ ٧٥٨.

٧٣ ـ المصدر نفسه، المجلد التاسع، بالإضافة إلى موارد كثيرة أخرى.

٧٤ ـ المصدر نفسه ١: ١٠، ١١.

٧٥ ـ وقد تمّ تفصيل الكلام عن حوادث الطريق بين الكوفة والشام في المجلّد السادس الذي تمّ نشره مؤخراً.

٧٦ ـ تاريخ الإمام الحسين ١: ١٠، ١١.

٧٧ ـ المصدر نفسه.

٧٨ ـ المصدر نفسه ٥: ٤٩٨ ـ ٥٨١.

٧٩ ـ المصدر نفسه: ٢٨٣ ـ ٢٩٩.

٨٠ ـ المصدر نفسه ٢: ٢٣٢ ـ ٢٣٥.

٨١ ـ المصدر نفسه ٩: ٥٦٠.

٨٢ ـ المصدر نفسه: ٣٨٣ (في الحاشية).

٨٣ ـ المصدر نفسه ١: ٢٤ (المقدمة). ولابد من التنويه إلى أن هوية موسوعة الإمام الحسين هي كالآتي: تأريخ الإمام الحسين عليه السلام = موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: أكرم الموسوي، أعظم قادر سهى وأعظم فخر، دار الكتب التعليمية للنشر، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ ـ ٨٢ش/١٩٩٩ ـ ٢٠٠٣م، المجلد الأول: ٩١٥ + ٣٣ صفحة. المجلد الثاني: ٨٦٢ + ١١ صفحة. المجلد الثالث: ٨٤٠ +١١. المجلد الرابع: ٩٠٩. المجلد الخامس: ٩٠٧. المجلد السادس: ٩٣٨. المجلد التاسع: ١٠٣٨. قطع وزيري.

الشرعية الدينية للمأتم الحسيني
إشكاليات في المقولات والنصوص الحديثية

الشيخ مهدي حسينيان القمي (*)

ترجمة: فرقد الجزائري

تمهيد

«... فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك، وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب..» (١).

أوصى زعماء الدين في روايات عديدة بإقامة المآتم على الإمام الحسين عليه السلام، والبكاء عليه، وقد عدّ هذا الأمر من أهمّ العبادات، وموجباً للتقرّب إلى الله عزّ وجلّ. ويمكننا ملاحظة ذلك بوضوح من خلال مراجعة الروايات المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام (٢)، والإمام الرضا عليه السلام (٣)، وكلمة الإمام السجاد عليه السلام قبل دخوله المدينة (٤)، وزيارة الناحية المقدّسة لصاحب الزمان (عج).

يقول الإمام الصادق عليه السلام، في رواية منقولة عنه: «كلّ الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين» عليه السلام، ويقول الإمام الرضا عليه السلام بعد أن عدّ مصائب عاشوراء: من القتل، وهتك الحرمات، وأسر النساء والأطفال، وحرق الخيام، ونهب أموال آل الله، وهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا وَأَسْبَلَ

(*) أستاذ في الحوزة العلمية في مدينة قم، وناقد في مجال علوم الحديث والتراث.

دُمُوعَنَا وأَذَلَّ عَزِيزَنَا بأَرْضِ كَرْبٍ وبَلاء»، ويقول صراحةً: «أَوْرَثَتْنَا الْكَرْبَ والْبَلاءَ إِلَى يَوْمِ الانْقِضَاء»، وفي وصية هادفة، يقول: «فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ»، ثمّ يشير إلى سيرة أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حول العزاء على سيّد الشهداء، في العشرة الأولى من المحرم، ويقول: كَانَ أَبِي إِذَا دَخَلَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ لا يُرَى ضَاحِكاً، وكَانَتِ الْكَآبَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْضِيَ مِنْهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وحُزْنِهِ وبُكَائِهِ ويَقُولُ: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ.

نعم! في الحقيقة إنّ المأتم، والبكاء، والنعي، والرثاء على سيد الشهداء، نوعٌ من الحضور بالنسبة لنا، نحن الغائبين عن واقعة عاشوراء؛ حيث نشارك في المصاب بالبكاء والرثاء والنواح، ونُبدي حسرتنا وألمنا لفقد هؤلاء المظلومين، ونظهر سخطنا للظلم الذي حلّ بهم، ونعلن انضمامنا إلى أهدافهم وقيمهم، وتبعيّتنا لسيرتهم ومنهجهم. والأهم من ذلك كلّه، نسعى لتوثيق الصلة بين إقامة المأتم والثأر، والبكاء والمطالبة بالحقوق المضيّعة، إنّ هذا المأتم والبكاء والحزن ضرورة فطرية ماسّة، لا يقف مقابلها سلبياً من تصوّرها وتعقلها، ولا تصمد شبهة أمام هذا الوضوح والبداهة.

إن لم نبك الحسين، وأصحابه الأوفياء، ومصابهم، فعلى ماذا نبكي؟ وإن لم نبك للظلم الذي حلّ به وبأصحابه في يوم عاشوراء، وهو ظلم على البشرية جمعاء، لفقدهم الحسين، ولم نصرخ لذلك تظلّماً، مطالبين بالحق، فلأيّ ظلم نصرخ؟

لكن على الرغم من كل هذا التأكيد من قبل المعصومين عليهم السلام، وتوصيتهم بالبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، وإقامة المأتم له، طرحت بعض الشبهات حول ذلك، وعلينا مراجعتها، والردّ عليها، ونتطرّق في هذا المقال لسبعٍ من تلك الشبهات، ونتناولها بالنقد والتحليل.

إشكاليات حول إقامة المأتم

الإشكالية الأولى: التشكيك في الروايات التي توصي بالبكاء، وإقامة المأتم، والثواب الوافر المترتب عليه.

إذ يستكثر من يشكّك في هذه الروايات الأجرَ المذكور فيها على البكاء

وإقامة المأتم، ويستبعدون صحّتها، فإمّا أن يرفضوها، أو يأوّلوها، ويفسّروها بنحو آخر. ونذكر في هذا الخصوص كلام السيد هاشم معروف الحسني، في كتاب الموضوعات في الآثار والأخبار، وكذلك كلام الشيخ محمد باقر البهبودي في هامش المجلد الرابع والأربعين من بحار الأنوار، ونردّ عليهما بإيجاز.

الإشكالية الثانية: إقامة مجالس الفرح والسرور في ذكرى الشهادة، بدل المأتم والبكاء.

وردت هذه الشبهة في كلام السيد هاشم الحداد، نقلاً عن آية الله السيد محمد حسين الحسيني الطهراني، في كتاب الروح المجرّد، كما ذكرها السيد ابن طاووس في مقدّمة كتاب اللهوف، وقد أتى السيد هاشم الحدّاد على ذكر هذه الشبهة بأسلوب فظ؛ في حين كان أسلوب السيد ابن طاووس أكثر ليناً ولطفاً. يقول السيد هاشم الحداد ـ بعد وصفه المأتم والبكاء بأنّه فعل العوام من الناس ـ : لو كان هؤلاء العوام يدركون، لأقاموا محافل البهجة والسرور، بدل البكاء والحزن والمأتم. وهي عبارة في منتهى القسوة؛ لكن السيد ابن طاووس يقول: لو لم يأمر الله بإقامة المأتم لسيّد الشهداء، لاحتفلنا بشهادته ولأقمنا البهجة والسرور لذلك. وسنأتي بنصّ أقوالهما، ثمّ نبيّن ملاحظاتنا عليها.

الإشكالية الثالثة: الشيعة أنفسهم قتلوا الحسين، وهم يبكوه الآن.

الإشكالية الرابعة: عدم مقبوليّة استمرار الحزن والمآتم والبكاء إلى اليوم، وبهذه الشدّة.

الإشكالية الخامسة: لماذا تقام المآتم في العشرة الأولى من المحرم، وتنتهي بعد مقتل الإمام بثلاثة أيام؟ في حين يجب استمرار المآتم بعد قتله.

وسنأتي بنصّ كلام السيد ابن طاووس من كتاب الإقبال، حيث ذكر هذه الشبهة، وردّ عليها.

الإشكالية السادسة: ضرورة وضع الاهتمام بالانتقام؛ بدل البكاء.

الإشكالية السابعة: الإشكال على طريقة إقامة بعض المآتم، والتقاليد المتبعة فيها.

كانت هذه بعض الشبهات المطروحة، وسنتناول الإشكاليات الأولى والثانية

والخامسة بتفصيل، وستتضح الإجابة على سائر الشبهات من خلالها، ونؤكّد على التمعّن في الروايات التي تدعو إلى إقامة المآتم الحسينية؛ إذ تتعامل هذه الروايات مع المأتم الحسيني بنحو يسدّ الطريق أمام أيّ شبهة عليه.

وقفة مع التشكيك في روايات استحباب المأتم وثوابها

يعلم الباحثون والمختصّون في علم الحديث، أنّ كثرة روايات المآتم والبكاء، لا تدع مجالاً للتشكيك فيها؛ فهناك روايات كثيرة تدلّ على بكاء الأنبياء والملائكة، وأهل السماوات الذين لا تجف دموعهم، وأهل الأرض الذين يبكون دماً، من أول الخلق، إلى نهاية العالم، وحتى في تلك الدار الخالدة، وبكاء السماء، والأرض، والبحار، والصحاري، والحيوانات، والأسماك، والشمس، وكل الأحجار التي بكت دماً، وقد دعت الروايات العديدة لإقامة المآتم، وأقام أئمة أهل البيت المآتم، وبكوا بمرارة لفقدان سيّد الشهداء.

وحتى الجزع الذي ذُمّ في النوائب، وعُدّ مكروهاً، حيث دُعينا دوماً للصبر والتحمّل في المصائب ومُنعنا عن الجزع، صارت هناك دعوة إليه في هذا المصاب العظيم؛ فقد ورد في رواية مسمع، أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له: «يَا مِسْمَعُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَمَا تَأْتِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ؟ قُلْتُ: لا أَنَا رَجُلٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَعِنْدَنَا مَنْ يَتْبَعُ هَوَى هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأَعْدَاؤُنَا كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ القَبَائِلِ مِنَ النُّصَّابِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَيَّ حَالِي عِنْدَ وُلْدِ سُلَيْمَانَ؛ فَيُمَثِّلُونَ عَلَيَّ، قَالَ لِي: أَفَمَا تَذْكُرُ مَا صُنِعَ بِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتَجْزَعُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ وَأَسْتَعْبِرُ لِذَلِكَ حَتَّى يَرَى أَهْلِي أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَأَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يَسْتَبِينَ ذَلِكَ فِي وَجْهِي، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ دَمْعَتَكَ أَمَا إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ فِي أَهْلِ الْجَزَعِ لَنَا وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَيَخَافُونَ لِخَوْفِنَا وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا..».

إذن، يتّفق الجميع على صحّة هذه الروايات، وعدم الجدال في سندها، ولا يمكن لأحد تجاهل هذا الكمّ الكبير من الروايات. وقد دار الحديث حول تفسيرها وتحليلها، لكنّ محتواها ومفادها أوضح من أن تثار شائبة حوله؛ إذ لا يمكن استنتاج

معان خاطئة منها، أو استخدامها بشكل خاطئ، كما لا يمكن نفي تلك القيمة والمكانة التي تعدّها لإقامة المأتم والبكاء.

نظريات في تحليل روايات البكاء وإقامة المآتم

هناك ثلاثة آراء حول روايات البكاء والمآتم ـ التي أصبحت متواترة ولا حاجة للبحث في سندها ـ :

١ ـ نظرية السيد هاشم معروف الحسني

يضع الحسني[٥] هذه الروايات في مجموعة الروايات المجعولة، ودليله على ذلك الأجر الوافر الذي ورد فيها لدمعةٍ تسكب، أو لإغروراق العين بالدمع؛ فهو يجعل من استبعاده الأجر العظيم على هذا العمل الضئيل، دليلاً على كون هذه الروايات مجعولة.

ويبيّن الحسني رأيه كما يلي: وقد أمعن القصّاص والوعّاظ في الكذب على الرسول صلى الله عليه وآله، فنسبوا إليه وعوداً وأقوالاً في الزهد في الدنيا، وفضل البلاء والفقر والمرض والجوع والأيام والساعات والأذكار والأدعية، وأسرفوا في عرضهم للمكافأة التي يلقاها الإنسان إذا صلّى ركعتين في بعض الليالي أو الأيام، أو صام يوماً أو أكثر من بعض الشهور، أو سعى لزيارة بعض الأولياء والأتقياء؛ فأعطوه على كلّ ركعة مئات القصور وآلاف الحور والولدان والأثاث المصنوع من الزبرجد والياقوت والمرجان، وعلى كلّ يوم صامه، أو خطوة مشاها إلى زيارة وليّ، أو عيادة مريض آلاف الحسنات، وأسقطوا عنه آلاف السيئات، وكأنّ له أجر ألف حاج، وألف معتمر، وثواب من صبر وأحسن عملاً كأيوب وأمثاله من النبيين والصدّيقين كما جاء في بعض المرويّات، وفرشوا له طريق الجنة بالورود والرياحين، حتى ولو لم يفعل بعد ذلك من الطاعات شيئاً، بل وحتّى لو فعل المنكرات كما تصرّح بذلك بعض مرويّاتهم.

ثمّ يقول: وجاء في تفسير علي بن إبراهيم، أنّ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: «من ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينيه دمع مثل جناح البعوضة، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»، إلى غير ذلك من المرويّات التي سنعرض بعضها حسب المناسبات في الفصول الآتية من هذا الكتاب[٦].

ويقول بعد عدّة صفحات: وفي الوقت ذاته ربّما يحذّر السامع عن العمل، ويبعث في نفسه روح الاتكال على الثواب الموعود به عندما يسمع أنّ الدمعة التي لا تزيد عن جناح بعوضة، إذا خرجت من عينه حزناً على ما أصاب أهل البيت، يغفر الله له بسببها جميع ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر كما جاء في رواية علي بن إبراهيم عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام..[٧].

٢ـ نظرية الدكتور محمد باقر البهبودي

يذكر البهبودي[٨] رأيه بأسلوب حاد، ويقول ما مضمونه: يظنّ الجاهلون بأنّ هذه الروايات مطلقة، ولكلّ دمعة في كل زمان وكل ظرف هذا الاعتبار والقيمة؛ لذلك ينكرها بعضٌ ويعتبرها موضوعةً، ويسلّم بها بعضٌ آخر عن غفلة.

ثمّ يتبنّى البهبودي الرأي القائل بأنها ليست مطلقة، ولا يترتب على مطلق البكاء كل ذلك الأجر؛ بل إنّ هذا الأجر للبكاء كان في ظروف خاصّة حرجة، حيث يصدق فيه عنوان الجهاد في سبيل الله، ولا يصدق ذلك في الظروف العادية.

ويبيّن البهبودي موقفه حول هذا الموضوع كما يلي: «توهّم الجهّال أنّ لهذه الأحاديث إطلاقاً يشمل كلّ ظرف وزمان، فأنكرها بعضٌ أشدّ الإنكار، وقال: لو صحّ هذه الأحاديث لأتى على بنيان المذهب وقواعده، ولأدّى إلى تعطيل الفرائض والأحكام وترك الصلاة والصيام، كما نرى الفساق والفجار يتّكلون في ارتكاب السيئات والاقتحام في جرائمهم الشنيعة على ولاء الحسين عليه السلام ومحبته والبكاء عليه، من دون أن ينتهوا عن ظلمهم وغيّهم واعتسافهم؛ فليس هذه الأحاديث إلا موضوعة من قبل الغلاة، دسّهم في أخبار أهل البيت ترويجاً لمرامهم الفاسد ومسلكهم في أنّ ولاء أهل البيت إنّما هو محبتهم، لا الدخول تحت سلطانهم وأمرهم ونهيهم على ما هو الصحيح من معنى الولاية. وبعضهم الآخر الذين يروون الحديث، ولا يعقلون فيه، ولا يتدبرون، أخذ بالإطلاق، وادّعى أنّ «من بكى على الحسين أو أبكى أو تباكى فله الجنة»، حتى في زماننا هذا وعصرنا، كائناً من كان. ثمّ شدّ على المنكرين بأنّهم كفروا وخرجوا عن المذهب، ولم يعرفوا الأئمة حق معرفتهم و.. ثمّ إذا ألزم بالإشكال أخذ في تأويل الأحاديث، وأخرجها عن معانيها ومغزاها، أو سرد في الجواب بعض

الأقاصيص والرؤى.

والحق أنّ هذه الأحاديث بين صحاح وحسان وضعاف مستفيضة، بل متواترة، لا تتطرّق إليها يد الجرح والتأويل، لكنّها صدرت حينما كان ذكر الحسين عليه السلام والبكاء عليه وزيارته ورثاؤه وإنشاد الشعر فيه إنكاراً للمنكر، ومجاهدةً في ذات الله، ومحاربة مع أعداء الله، بني أمية الظالمة الغشوم، وهدماً لأساسهم، وتقبيحاً وتنفيراً من سيرتهم الكافرة بالقرآن والرسول صلى الله عليه وآله، ولذلك كانت الأئمة يرغّبون الشيعة في تلك الجهاد المقدّس بإعلاء كلمة الحسين، وإحياء أمره بأيّ نحو كان، بالرثاء والمديح والزيارة والبكاء عليه، وفي مقابلهم بنو أمية تعرج على إماتة ذكر الحسين عليه السلام، ويمنع من زيارته ورثائه والبكاء عليه. فمن وجد ويفعل شيئاً من ذلك، أخذوه وشرّدوه وقتلوه وهدموا داره؛ ولأجل تلك المحاربة القائمة بين الفريقين، أنصار الدين وأنصار الكفر، أباد المتوكّل قبر الحسين عليه السلام، وسوّاه مع الأرض، وأجرى الماء عليه؛ ليطفئ نور الله، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

فمن كان يبكي على الحسين أو يرثيه أو يزوره في ذاك الظرف، لم يكن فعله ذلك حسرةً وعزاء وتسلية فقط، بل محاربةٌ لأعداء الدين، وجهاد في سبيل الله مع ما يقاسونه من الجهد والبلاء والتشريد والتنكيل. فحقّ على الله أن يثيب المجاهد في سبيله، ويرزقه الجنّة بغير حساب؛ ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين؛ ففي مثل ذاك الزمان ـ كما رأينا قبل عشرين سنةً في إيران (قبل الثورة) ـ لم يكن ليبكي على الحسين عليه السلام، وينشد فيه الرثاء إلا كلّ مؤمن، وفي أهل التقوى واليقين، لما في ذلك من العذاب والتنكيل، لا كلّ فاسق وشارب، حتى يستشكل في الأحاديث، بل كان هؤلاء الفسّاق ـ في ذاك الظرف ـ مستظهرين بسلطان بني أمية، منحازين إلى الفئة الباغية، يتجسّسون خلال الديار ليأخذوا على أيدي الشيعة، ويمنعوهم من إحياء ذكرى الحسين عليه السلام، كما اقتحموا دار أبي عبد الله الصادق عليه السلام، بعدما سمعوا صراخ الويل والبكاء من داره عليه السلام.

وأمّا في زمانٍ لا محاربة بين أهل البيت وأعدائهم، كزماننا هذا، فلا يصدق على ذكر الحسين عليه السلام والبكاء عليه عنوان الجهاد، كما أنّه لا يلقى ذاكر

الحسين عليه السلام إلا الذكر الجميل والثناء الحسن؛ بل يأخذ بذلك أجرةً، والباكي على الحسين عليه السلام يشرّف ويكرّم، ويقال له: قدمت خير مقدم، ويقدّم إليه ما يشرب ويتفكّه؛ فحيث لا جهاد في البكاء عليه، فلا وعد بالجنّة، وحيث لا عذاب ولا نكال ولا خوف نفس، فلا ثواب كذا وكذا؛ فليبك الفسقة الفجرة إنّهم مأخوذون بسيئ أعمالهم. إنّ الله لا يخدع عن جنّته، وليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون» (٩).

٣ـ النظرية السائدة

وهي قبول هذه الروايات بشكل مطلق، وعدم تخصيصها بالظروف الحرجة؛ فإنّ شأن العبادة يعلو أو يدنو بتغيير الظروف، لكن لا يعني ذلك أنّ الصلاة مثلاً لا قيمة لها في الظروف العادية، أو الصيام لا أجر عليه في أيام الشباب والصحّة، أو لا شأن لحجّ المتمكّنين والأثرياء؛ فلم يكن الأمر كذلك إطلاقاً؛ بل إنّ لكافة العبادات قيمة وأجراً وشأناً عظيماً، والظروف الحرجة تزيد من قيمتها وأجرها.

إذن، يحتفظ بكاء الحسين عليه السلام وإقامة المأتم له بقيمته، وتتضاعف هذه القيمة في الظروف الصعبة. أمّا الغفلة عن ذلك فسببه عدم الالتفات إلى قيمة العقيدة بحدّ ذاتها، أو يبدو أنّ البعض لا يتمكّن من التوفيق بين العقيدة الصحيحة والعمل الخاطئ، ويتصوّرون أنّ من صحّت عقيدته، صحّت جميع أفعاله، لكن في الواقع ليس الأمر كذلك؛ فمن يتمعّن في حياته الخاصة، يجد أخطاء وهفوات كثيرة اجتمعت مع عقيدته؛ فهو يعتقد بالله، لكن تصدر عنه أخطاء وزلّات كبيرة وصغيرة، وكأنّه لا يعرف الله إطلاقاً.

إذن ينبغي ملاحظة أمرين بدقة:

أ ـ قيمة الاعتقاد: لا تعدّ العقيدة جزءاً من العمل، وإن تمتعت العقيدة الصحيحة بحدّ ذاتها بقيمة كبيرة؛ فمن أحبّ الإمام الحسين بقلبه وتعلّق به، فلذلك شأن عظيم، وإن تلوّث بذنوب كثيرة، ومن أحبّ الأنبياء واعتقد بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام حجة الله وخليفته في الأرض وتبرّأ من أعدائه، فله شأن عظيم، وإن تلوّث بالذنوب والمعاصي. ومن الممكن أن يعلو شأن فرد كهذا إلى مرتبةٍ يمكن القول معها فيه: إنّ عقيدته

الحسنة أرجح من جميع أعماله السيئة، وتُلقي بظلالها على ذنوبه.

ب ـ اجتماع الاعتقاد الصائب مع الذنب: يقول بعضهم: من صحّت عقيدته لا يعصي. نعم، للعقيدة الصحيحة في المراتب العليا أثرٌ كهذا؛ لكن ليس لها في المراتب الدنيا ـ والتي يتمتع الكثير بها ـ هذا الأثر، بل تجتمع أحياناً أو حتى كثيراً مع الذنوب والمعاصي؛ فكثيرون هم الذين عرفوا أمير المؤمنين عليه السلام وحتى اختاروه مولى لهم، لكن بسبب البيئة المحيطة بهم أو بسببٍ في أنفسهم، تلوثوا بالمعاصي والذنوب. وكلنا يريد أن يعلو الحقّ، وأن ينقطع سبيل المعصية، وتبذل جهود أكبر في مجال الثقافة والمجتمع، لنحصل على دعم أكبر في صون إيماننا عن الذنوب، لكن بما أنّ الحق لا يحكم العالم وقد تغلّب الباطل وأهله في معظم الأمور، ونحن بين كلّ ذلك أقلية، فلا يمكننا حفظ نزاهتنا كما تقتضي عقيدتنا، ونتلوّث بأمور شتى، لكن هناك اختلافاً جوهرياً بين أخطائنا وزلاتنا وبين ذنوب أعدائنا؛ إذ هم طلبوها ووجودها لكننا لم نردها وابتلينا بها؛ ولعلّه وراء ما ذكرت بعض الروايات في فضل الشيعة المذنبين على غيرهم ممن لم يذنبوا، بل نسبت ذنوب الشيعة لغيرهم.

إذن، حبّ الحسين عليه السلام والبكاء عليه والإيمان به وبنهجه والدفاع عنه وإحياء ذكره، قيّم في الظروف كافّة. بالطبع، قد يصبح البكاء كذباً وإقامة المأتم خداعاً؛ وفي مثل هذه الحال، لا قيمة للمأتم ولا للبكاء، لكن إذا تمتّع بدرجة مقبولة من الصدق والصحة، حتى ولو كان مذنباً، فسوف يطهّره ذلك من الذنوب تدريجياً، كما نجده عملياً. وخلاصة القول: إنّ لهذه النقطة البيضاء المنيرة في قلب الإنسان قيمة كبيرة، يمكنها محو المساوئ جميعها.

ردود مقتضبة على نظريتي: الحسني والبهبودي

١ـ في الظروف الحرجة، من الممكن أن لا يصمد حتى كثير من المتقين، فهل يدلّ ذلك على أنّ بكاءهم لا قيمة له؟

٢ـ من الممكن أن يصمد بعض ممّن أسميتموهم بالفاسقين، في الظروف الحرجة، وأن يقيموا مأتم الحسين عليه السلام، حتى لو كلّفهم ذلك أرواحهم؛ فهل تعتبرون هذه الروايات صادقةً في حقهم، أو أنّها لا تصدق فيهم لما ارتكبوه من الفسق؟

٣ـ لا نفع من البكاء الكاذب على الحسين عليه السلام؛ لكن إذا بكى أحدٌ الحسينَ عليه السلام صدقاً؛ لما حلّ به من ظلم، ونادى بمظلوميته، ومع ذلك أذنب ـ كما هي حالنا في الغالب ـ فلا أتصوّر أنّ بكاءه سيفقد قيمته.

٤ـ إن فتح الله باب التوبة أو إنقاذ الشفاعة للمؤمنين يوم القيامة، هل يؤدّيان إلى جرأة المذنب وتماديه في معصيته؟ إذن من الأفضل أن تسدّوا أنتم طريق العودة إلى الله، لكي لا يصدّ عنه أحد. بعبارة أخرى، من الممكن أن يحدث سوء استخدام لأي من التعاليم الدينية، لكن ذلك لا يعني أنّ تلك التعاليم خاطئة، كذلك هو الأمر بالنسبة للبكاء على الحسين، أو التوبة، أو الشفاعة، أو البكاء من خشية الله؛ فإن بكى عاصٍ عن صدق وتاب بإخلاص، فإنّه سيجني الآثار العظيمة لفعله هذا.

ويمكن القول في ما يخصّ استكثار الثواب على البكاء وإقامة المأتم، بأن استبعاد تحقّق هذا الأمر هو ما يتمسّك به كثيرون لرفض هذه الروايات، لكن ترد النقاط التالية عليهم:

١ـ استبعاد الأمر ليس دليلاً؛ إذ يمكننا الردّ على سؤالهم، «هل يمكن؟»: «نعم، يمكن بالتأكيد»؛ فالاستبعاد ليس بدليل، حتى نحتاج للردّ عليه.

٢ـ لا ينحصر هذا الاستبعاد بثواب البكاء على الإمام الحسين وإقامة المأتم له، بل يعمّ كثيراً من الأعمال الضئيلة في الظاهر لكنّها تتمتّع بأجر عظيم في الدين؛ فإن كان لكم ردود على تلك الأمور، فلدينا ما نقوله عن ثواب البكاء وإقامة المأتم.

٣ـ يظنّ بعضهم أنّ دمعةً واحدة ليست بشيء؛ فأحياناً يكون حجم العمل صغيراً، لكن له قيمة كبيرة وشأن عظيم. فمثلاً، الصلاة التي هي أهمّ الواجبات، ليست إلا قياماً وقعوداً وعدّة من أذكارٍ وسور وأدعية، وكذا الذنب الذي ارتكبه إبليس لم يكن إلا معصيةً لله في سجدةٍ واحدة؛ إذاً لم يلحظ حجم العمل؛ فما يعطي العمل قيمتَه إنّما هي روحه وحقيقته والآثار المترتّبة عليه.

٤ـ إنّ ثواب الله لعباده على أعمالهم من باب التفضّل؛ كالجوائز التي تعطى أحياناً لأعمال بسيطة؛ فلا يجوز لنا أن نستبعد ثواباً عظيماً على عمل بسيط.

٥ـ إذا نظرنا إلى الدمعة التي تُسكب بإخلاص في مأتم سيد الشهداء من زوايا مختلفة، وبحثناها من حيثيات متعددة، لوجدنا أنّها ليست بالأمر الهيّن؛ فهناك عالم

من الحب والعشق وراء هذه الدمعة، يعجز الحديث ـ مهما طال ـ عن تبيينه؛ حيث تنمّ هذه الدمعة عن عالم من الفهم والاستيعاب خلفها، يعجز أحياناً كلّ الناس عن خلقها؛ فيترتب عالمٌ من الآثار والبركات عليها، لا يساويها شيء في الأثر والبركة؛ فهي دمعة، لكنّها تربطك بالأنبياء والأولياء والصلحاء، وهي دمعة، لكنّها ثمرة مساعي الأنبياء والأولياء والصلحاء، وهي دمعة، لكنّها تنمّ عن فهم وإدراك وتعلّق عميق.

عاشوراء وضرورة البهجة. نظرية ابن طاووس وهاشم الحداد

يقول السيد محمد حسين الحسيني الطهراني عن أستاذه السيد هاشم الموسوي الحداد: «كان السيّد الحداد على غير طبعه طيلة عشرة المأتم؛ إذ يحمرّ وجهه، وتتلألأ عيناه، لكن لا يُرى الحزن عليه، بل كان في غاية البهجة والسرور. وكان يقول: ما أغفل الناس، وهم يتألمون على هذا الشهيد ويقيمون المآتم له! إنّ عاشوراء أعظم ملاحم الحبّ والعشق، ومجلى جمال الله وجلاله، ومسرح آيات رحمته وغضبه. أمّا أهل البيت، فقد سَمُوا على المراتب والدرجات، ووصلوا إلى ذروة الحياة في الخلد، وانسلخوا عن المظاهر وحققوا الظواهر، وفنوا أنفسهم في ذات الأحد. إنّ هذا هو يوم بهجة أهل البيت وسرورهم؛ إذ هو يوم سعادتهم وفلاحهم بالدخول إلى الحريم الإلهي وحرمه الآمن، وهو يوم الانتقال من الجزئية إلى عالم الكلية، هو يوم النصر والفلاح. هو يوم تحقّق الهدف النهائي والمطلوب الحقيقي. هو يومٌ لو عُرض جزءٌ منه على السالكين والمحبّين والوالهين في سبيل الله، لظلّوا بقيّة حياتهم في غمرة البهجة والسرور، ولسجدوا لله شكراً إلى قيام الساعة».

«كان السيد الحداد يقول: إنّ الناس في غفلة عن أمرهم، وقد ملأ حبّ الدنيا أعينهم وآذانهم، فيحزنون على ذلك اليوم ويبكون عليه بكاء الثكلى على ولدها! ولا يعلمون أنّه فوز وفلاح ومعاملة رابحة كابتياع المجوهرات بالخزف، لم يكن ذلك القتل موتاً بل كان عين الحياة، ولم يكن انقطاعاً للحياة، بل كان الحياة الخالدة.

وذكر أنّ شاعراً دخل حلب، وأنشد في أهلها، قال: بلى، لكن قل لمن حول يزيد، متى كان ذاك الحزن، ولم تأخّر في وصوله إلينا، فعين الأعمى رأت تلك

الخسارة، وأذن الأصمّ سمعت تلك الحكاية.

كان السيد الحداد يكثر من البكاء في العشرة الأولى من المحرم، لكن شوقاً، وكانت دموعه تنهمر لشدّة سروره وابتهاجه، وكأنّ مطر الرحمة ينزل على محاسنه الشريفة، وكان يكرّر قراءة أشعار جلال الدين الرومي بصوت عذب، ومازال ذلك الصوت وتلك الدموع المنهمرة حيّةً في ذاكرتي، وكأنّ الحداد جالسٌ أمامي وبيده كتاب المثنوي»(١٠).

وقد جاء السيد الحسيني الطهراني بأشعار المثنوي كاملةً، في ما يخص الشاعر الذي دخل على أهل حلب، وهم يقيمون المأتم و..

ويأتي السيد ابن طاووس في كتابه اللهوف بمقدّمة مختصرة، مفادها أنّ الله يتجلّى لعباده، ويطهّرهم من دنس الدنيا، ويهبهم البهجة الروحية؛ إذ أهّل بعض العباد أنفسهم لتلقّي الألطاف الإلهية، واستحقوا هذا الاهتمام من قبل الله تعالى؛ لذلك لا يريد الله لهم أن تُهدر أعمارهم؛ بل يوفّقهم ليقوموا بأحسن الأعمال، وينزع عن قلوبهم التعلّق بمن سواه، حتى لا يطلبوا إلا رضاه. فتراهم فرحين كالمؤمنين بالقيامة، ووجلين من خشية اللقاء، توّاقين دوماً إلى ما يقرّبهم من مرامهم الحقيقي، وهو الله عزّ وجلّ، ويريدون الدخول إلى الدنيا والخروج منها كما يحبّ الله لهم؛ فهم غارقون في الاستماع إلى أسرار الحقّ، وملأت حلاوة ذكر الله قلوبَهم، فحباهم الله بعنايته وحبّه بقدر ما أهّلوا أنفسهم لذلك. يصغر في أعينهم كلّ أمر يبعدهم عن الله، ولا يؤنسهم إلا ذكره. إن وجدوا حياتهم وبقاءهم مانعاً في تحقيق أوامر الله، يخلعون لباس الحياة، ويطرقون أبواب لقاء الله ببذلهم أرواحهم وأجسادهم، ويسلّمون أنفسهم للسيوف والرماح. وقد سمَى الحسينُ عليه السلام وأصحابه إلى هذا المقام الرفيع، حتى تسابقوا لنيل الشهادة.

ثمّ يبيّن السيد ابن طاووس رأيه كما يلي: «ولولا امتثال أمر السنّة والكتاب في لبس شعار الجزع والمصاب لأجل ما طمس من أعلام الهداية، وأسّس من أركان الغواية، وتأسّفاً على ما فاتنا من تلك السعادة، وتلهفاً على أمثال تلك الشهادة، وإلا كنّا قد لبسنا لتلك النعمة الكبرى أثواب المسرّة والبشرى، وحيث في الجزع رضاً لسلطان المعاد، وغرضاً لأبرار العباد، فها نحن قد لبسنا سربال الجزوع، وأنسنا

بإرسال الدموع، وقلنا للعيون: جودي بتواتر البكاء، وللقلوب جدّي جدّ ثواكل النساء؛ فإنّ ودائع الرسول ﷺ الرؤوف أبيحت يوم الطفوف، ورسوم وصيّته بحرمه وأبنائه طمست بأيدي أمته وأعدائه».

ثمّ يخاطب ابن طاووس الضمائر الحيّة في العالم، ويدعوهم لإحياء ذكرى هؤلاء القتلى، والبكاء على عزيز النبي ﷺ وفاطمة.. ويتابع مخاطباً من أوفوا بعهدهم للنبي ﷺ: «لم لا تواسون النبي في البكاء؟» ويقسم عليهم أن يعزّوا الزهراء بالرثاء على ابنها، لينالوا أجر من واساهم، ثمّ يذكر الرواية التي وردت في فضل البكاء والإبكاء، وحتى التباكي.

وقفة نقدية مع نظرية البهجة الصوفية

وترد على هذه الشبهة أنّ لمقتل سيد الشهداء وأهل بيته وصحبه الأوفياء وجهان؛ فهو بالنسبة لهم قربٌ ووصال وبهجة وسرور؛ إذ تحقّقت أمانيهم بالشهادة والفناء، وبلغوا مقاماً لا يناله أحد إلا بالشهادة، لكنّ الأمر بالنسبة لنا حزن ومأتم وبكاء؛ لفقدهم ولما شهدناه من تلك الفاجعة الأليمة؛ لذلك نقرأ في زيارة عاشوراء: «بأبي أنت وأمي لقد عظم مصابي بك». وكما عبّر عن هذه الحقيقة صعصعةُ حينما قال عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الدنيا لفقدك مظلمة، والآخرة بنورك مشرقة؛ فنحن نبكي هذا الفقدان، وزادنا ألماً ومرارة وحشيةُ أعدائهم.

ولا بأس هنا بذكر كلام السيد الحسيني الطهراني؛ للردّ على هذه الشبهة؛ إذ يقول لتبرير فعل أستاذه السيد هاشم الحداد وكلامه عن المأتم الحسيني: «يجب الالتفات إلى أنّ ما قاله السيّد الحداد يمثل حالاته الخاصة؛ حيث اجتاز عوالم الكثرة ووصل إلى الفناء المطلق في الله، أي أنّه أنهى السفر الأول «إلى الله»، وانشغل في السفر الثاني «في الله»، وكذلك هو حال جلال الدين الرومي، حين أنشد الأشعار التي تحكي دخول الشاعر الشيعي مدينة حلب؛ فهم قد اجتازوا درجات النفس وسكنوا ساحة العرش، ونالوا قربه.

لكن سائر الخلق، الذين لا زالوا رهائن في عالم الكثرة، ولم يخرجوا من طوق أنفسهم، عليهم بالبكاء وإقامة المآتم والرثاء والنواح؛ لينالوا بها ذلك الهدف

السامي؛ فهذا المجاز سبيلٌ إلى تلك الحقيقة، كما تدعونا روايات عديدة لإقامة المآتم؛ لنطهّر بها أنفسنا ونسير مع أولئك العظماء.

وبعد الانتهاء من الأسفار الأربعة، من مستلزمات البقاء باللّه بعد مقام الفناء في اللّه، الارتباط بعوالم الكثرة وإعطاء كلّ عالم ما يستحقه؛ فيكون الإنسان مع اللّه في عالم الخلق ويتصف بالصفات الخلقية، في الوقت عينه الذي هو متحد بالربوبية، فهو حب وعزاء وتوحيد وكثرة، كما كنا نجد عين هذه الحالات لدى السيد الحداد في أيامه الأخيرة؛ فهو بعد أن بلغ مرتبة الفناء المحض وتمكّن من التجرد، أصبح في مرتبة البقاء، وكان ـ مع الوله ـ يذرف الدمع ويشارك في المأتم عن حرقة ورقّة قلب.. بعبارة مختصرة، واقعة كربلاء قصة غامضة ذات وجهين؛ وجه يظهر الحب والشغف والوصال وفوز سيد الشهداء ببلوغ تلك العوالم، ووجه آخر يملؤه الحزن والألم والعذاب والبكاء، لكن من يريد رؤية ذلك الوجه، عليه التمعّن في هذا الوجه، واجتيازه إلى الوجه الآخر؛ ولمثل هذا فليعمل العاملون.

أكثر لفظ كان يذكره الحداد هو «الفناء»، ولم ير سبيلاً أو علاجاً أنجع منه، وكان يدعو أصحابه إلى ذلك»[١١].

وفيما يخصّ كلام السيد هاشم الحداد وبيان السيد الحسيني الطهراني في تبريره، نوصي بالتمعّن في كلام الحسيني الطهراني، ونضيف أنّ البكاء على المظلوم، خاصة إن كان سيد الشهداء وصحبه المضرّجين بالدماء، حسنٌ ولازم في كل الأوقات إلى القيامة، وللجميع في أيّ مقام كانوا؛ فنظرة عابرة على كلام الإمام المهدي في زيارة الناحية، كفيلة بإظهار حقيقة الأمر؛ إذ يقول: «.. فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً. حسرةً عليك، وتأسّفاً على ما دهاك، وتلهّفاً حتى أموت بلوعة المصاب، وغصّة الاكتئاب»، أو كلام الإمام الرضا عليه السلام حين قال: «إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون..».

أمّا سائر التبريرات فلم تكن مفهومةً لكثيرين؛ فلا حاجة للردّ عليها؛ فالمأتم الحسيني والبكاء على سيد الشهداء واستذكار المصائب التي حلّت به، ومصيبة فقدانه، لا يُخدش بأقوالٍ كهذه.

وفي الختام، يجدر التنبيه إلى أنّ كلام السيد ابن طاووس، وإن كان أكثر مرونةً ولطفاً، لكنّه في حقيقته لا يختلف عن كلام السيد الحداد. وينبغي أن نلتفت إلى كلّ المعاني التي يحتملها كون الأمر ذا وجهين، ولا نغفل أياً منها؛ فنحن نريد أحياناً أن نلفت الانتباه إلى الوجه الآخر، لكن المهم هو أنّ التركيز على وجهٍ يجب أن لا يُسبّب صرف النظر عن الوجه الآخر، فيما كلاهما مهم، وينبغي الالتفات إليهما معاً.

هل العزاء بعد العاشر أم في العشر الأوائل؟!

يطرح السيد ابن طاووس الشبهة الخامسة، ويردّ عليها، ولنقرأ معاً نص كلامه في كتاب الإقبال: «أقول: ولعلّ قائلاً يقول: هلا كان الحزن الذي يعملونه من أول عشر المحرم قبل وقوع القتل يعملونه بعد يوم عاشوراء؛ لأجل تجدّد القتل، فأقول: إن أول العشر كان الحزن خوفاً مما جرت الحال عليه، فلمّا قتل دخل تحت قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (*) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فلما صاروا فرحين بسعادة الشهادة وجب المشاركة لهم في السرور بعد القتل لتظفرهم بالسعادة، فإنّ قيل: فعلام تجدّدون قراءة المقتل والحزن كل عام؟ فأقول: لأن قراءته هو عرض قصّة القتل على عدل الله جل جلاله ليأخذ بثاره كما وعد من العدل، وأما تجدّد الحزن كل عشر والشهداء صاروا مسرورين؛ فلأنه مواساة لهم في أيام العشر حيث كانوا فيها ممتحنين ففي كل سنة ينبغي لأهل الوفاء أن يكونوا وقت الحزن محزونين ووقت السرور مسرورين»[١٢].

إنّنا نعتقد أنّ التأمّل في الروايات المذكورة في هذا المقال، يغنينا عن الرد المستقل لكلّ من الشبهات؛ إذ تدافع هذه الروايات بجدارة عن البكاء وإقامة المأتم والجزع والنواح على سيّد الشهداء، وتقدم تفاسير جيّدة لذلك. ونأتي هنا ببعضها:

فعن أبي عمارة المنشد، قال: «ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله في يوم قطّ، فرئي أبو عبد الله متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل»[١٣]، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سمعته يقول: إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما

خلا البكاء على الحسين بن علي، فإنه فيه مأجور»[١٤]، وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كل الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين»[١٥].

يقول المجلسي صاحب البحار في ذيل هذه الأحاديث: «أَقُولُ: رَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَأْلِيفَاتِ بَعْضِ الثِّقَاتِ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ، رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ بِقَتْلِ وَلَدِهَا الْحُسَيْنِ ومَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْمِحَنِ بَكَتْ فَاطِمَةُ بُكَاءً شَدِيداً، وقَالَتْ: يَا أَبَهْ! مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: فِي زَمَانٍ خَالٍ مِنِّي ومِنْكِ ومِنْ عَلِيٍّ، فَاشْتَدَّ بُكَاؤُهَا وقَالَتْ: يَا أَبَهْ! فَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِ ومَنْ يَلْتَزِمُ بِإِقَامَةِ الْعَزَاءِ لَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: يَا فَاطِمَةُ! إِنَّ نِسَاءَ أُمَّتِي يَبْكُونَ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ بَيْتِي ورِجَالَهُمْ يَبْكُونَ عَلَى رِجَالِ أَهْلِ بَيْتِي ويُجَدِّدُونَ الْعَزَاءَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَإِذَا كَانَ الْقِيَامَةُ تَشْفَعِينَ أَنْتِ لِلنِّسَاءِ وأَنَا أَشْفَعُ لِلرِّجَالِ، وكُلُّ مَنْ بَكَى مِنْهُمْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ. يَا فَاطِمَةُ! كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنٌ بَكَتْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّهَا ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ[١٦].

وفي رواية أخرى، روي عن الصادق، أنّه قال: إِنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ بَكَى عَلَى أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً صَائِماً نَهَارَهُ قَائِماً لَيْلَهُ، فَإِذَا حَضَرَ الْإِفْطَارُ جَاءَهُ غُلَامُهُ بِطَعَامِهِ وشَرَابِهِ فَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: كُلْ يَا مَوْلَايَ، فَيَقُولُ: قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ جَائِعاً قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ عَطْشَاناً، فَلَا يَزَالُ يُكَرِّرُ ذَلِكَ ويَبْكِي حَتَّى يُبَلَّ طَعَامُهُ مِنْ دُمُوعِهِ ثُمَّ يُمْزَجُ شَرَابُهُ بِدُمُوعِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وجَلَّ. وَحَدَّثَ مَوْلًى لَهُ أَنَّهُ بَرَزَ يَوْماً إِلَى الصَّحْرَاءِ، قَالَ: فَتَبِعْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَجَدَ عَلَى حِجَارَةٍ خَشِنَةٍ فَوَقَفْتُ وأَنَا أَسْمَعُ شَهِيقَهُ وبُكَاءَهُ، وأَحْصَيْتُ عَلَيْهِ أَلْفَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقّاً حَقّاً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَبُّداً ورِقّاً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِيمَاناً وصِدْقاً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وإِنَّ لِحْيَتَهُ ووَجْهَهُ قَدْ غَمَرَ بِالْمَاءِ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي! أَمَا آنَ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقَضِيَ ولِبُكَائِكَ أَنْ تَقِلَّ؟ فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَانَ نَبِيّاً ابْنَ نَبِيٍّ، كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْناً فَغَيَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِداً مِنْهُمْ فَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزْنِ واحْدَوْدَبَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ وذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْبُكَاءِ وابْنُهُ حَيٌّ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وأَنَا فَقَدْتُ أَبِي وأَخِي وسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَرْعَى مَقْتُولِينَ؛ فَكَيْفَ يَنْقَضِي حُزْنِي ويَقِلُّ بُكَائِي؟![١٧].

وجاء في رواية أخرى: أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ دَخَلَ يَوْماً إِلَى الْحَسَنِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ بَكَى. فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: أَبْكِي لِمَا يُصْنَعُ بِكَ. فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: إِنَّ الَّذِي يُؤْتَى إِلَيَّ سَمٌّ يُدَسُّ إِلَيَّ فَأُقْتَلُ بِهِ ولَكِنْ لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَزْدَلِفُ إِلَيْكَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّةِ جَدِّنَا مُحَمَّدٍ ويَنْتَحِلُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى قَتْلِكَ وسَفْكِ دَمِكَ وانْتِهَاكِ حُرْمَتِكَ وسَبْيِ ذَرَارِيكَ ونِسَائِكَ وانْتِهَابِ ثِقْلِكَ، فَعِنْدَهَا تَحِلُّ بِبَنِي أُمَيَّةَ اللَّعْنَةُ وتُمْطِرُ السَّمَاءُ رَمَاداً ودَماً، ويَبْكِي عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ والْحِيتَانِ فِي الْبِحَارِ(١٨).

وفي رواية أخرى، قال معاوية بن وهب: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، إِذْ جَاءَ شَيْخٌ قَدِ انْحَنَى مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ورَحْمَةُ اللَّهِ يَا شَيْخُ، ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ وقَبَّلَ يَدَهُ وبَكَى. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَمَا يُبْكِيكَ يَا شَيْخُ؟ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَنَا مُقِيمٌ عَلَى رَجَاءٍ مِنْكُمْ مُنْذُ نَحْوٍ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ، أَقُولُ: هَذِهِ السَّنَةَ وهَذَا الشَّهْرَ وهَذَا الْيَوْمَ ولَا أَرَاهُ فِيكُمْ فَتَلُومُنِي أَنْ أَبْكِيَ. قَالَ فَبَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا شَيْخُ! إِنْ أُخِّرَتْ مَنِيَّتُكَ كُنْتَ مَعَنَا وَإِنْ عُجِّلَتْ كُنْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ثَقَلِ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ الشَّيْخُ: مَا أُبَالِي مَا فَاتَنِي بَعْدَ هَذَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَا شَيْخُ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ الْمُنْزَلَ وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي تَجِيءُ وأَنْتَ مَعَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ: يَا شَيْخُ! مَا أَحْسَبُكَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: لا. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: مِنْ سَوَادِهَا، جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَبْرِ جَدِّيَ الْمَظْلُومِ الْحُسَيْنِ؟ قَالَ: إِنِّي لَقَرِيبٌ مِنْهُ. قَالَ: كَيْفَ إِتْيَانُكَ لَهُ؟ قَالَ: إِنِّي لَآتِيهِ وأُكْثِرُ. قَالَ: يَا شَيْخُ! ذَاكَ دَمٌ يَطْلُبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مَا أُصِيبَ وُلْدُ فَاطِمَةَ ولَا يُصَابُونَ بِمِثْلِ الْحُسَيْنِ، ولَقَدْ قُتِلَ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ نَصَحُوا لِلَّهِ وصَبَرُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ فَجَزَاهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ جَزَاءِ الصَّابِرِينَ، إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ومَعَهُ الْحُسَيْنُ ويَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ يَقْطُرُ دَماً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلْ أُمَّتِي فِيمَ قَتَلُوا ابْنِي؟ وقَالَ: كُلُّ الْجَزَعِ والْبُكَاءِ مَكْرُوهٌ سِوَى الْجَزَعِ والْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ»(١٩).

* * *

الهوامش

١ ــ محمد بن جعفر المشهدي، المزار الكبير: ٥٠١، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، قم، قيوم، ١٤١٩هـ.

٢ ــ راجع: رواية مسمع كردين عن الإمام الصادق، ورواية بكر بن محمد الأزدي، في بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٣، ٢٨٩.

٣ ــ راجع: رواية ابن مسرور عن الإمام الرضا في بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٣.

٤ ــ بحار الأنوار ٤٥: ١٤٨.

٥ ــ الحسني، الموضوعات في الآثار والأخبار: ١٧٠ ـ ١٧٣، عرض ودراسة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٣٦٥.

٦ ــ المصدر نفسه: ١٧٠.

٧ ــ المصدر نفسه: ١٧٣.

٨ ــ البهبودي، هامش بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٣.

٩ ــ بحار الأنوار ٤٤، هامش ص٢٩٣.

١٠ ــ محمد حسين الحسيني الطهراني، روح مجرّد: ٨٤، ط١، طهران، حكمت، ١٤١٤هـ.

١١ ــ المصدر نفسه: ٩١.

١٢ ــ أبو القاسم علي بن موسى الحلّي الحسني، ابن طاووس، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة: ٥٨٣، تحقيق: جواد القيومي، ط١، قم، دفتر تبليغات اسلامي، ١٤١٤هـ.

١٣ ــ بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٠.

١٤ ــ المصدر نفسه: ٢٩١.

١٥ ــ المصدر نفسه: ٢٨٠.

١٦ ــ المصدر نفسه: ٢٩٢، ٢٩٣.

١٧ ــ المصدر نفسه ٤٥: ١٤٩.

١٨ ــ المصدر نفسه: ٢١٨.

١٩ ــ المصدر نفسه: ٣١٣، ح١٤.